



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

توظيف الموروث في أدب ابن عبدون - دراسة تحليلية

عائشة سليمان سعيد أبو رداحة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1437هـ - 2015م

توظيف الموروث في أدب ابن عبدون - دراسة تحليلية

إعداد:

عائشة سليمان سعيد أبو رداحة

بكالوريوس لغة عربية وآدابها/ جامعة القدس المفتوحة - رام الله - فلسطين

إشراف: د. جمال غيطان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها من كلية الآداب/ جامعة القدس

1437هـ - 2015م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
ماجستير اللغة العربية وآدابها

إجازة رسالة

توظيف الموروث في أدب ابن عبدون - دراسة تحليلية

اسم الطالبة: عائشة سليمان سعيد أبو رداحة
الرقم الجامعي: 21111459

المشرف: د. جمال غيطان

نُوقِشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2015/11/22م، من لجنة المناقشة المدرجة
أسمائهم وتواقيعهم:

التوقيع	د. جمال غيطان	1- رئيس اللجنة
التوقيع	أ.د. مشهور حبازي	2- ممتحنًا داخليًا
التوقيع	د. نبيل زيادة	3- ممتحنًا خارجيًا

القدس - فلسطين

1437هـ - 2015م

الإهداء

إلى اللذين ربياني صغيرةً

إلى رفیق الدّرب خليل وإلى إخواني

إلى طلاب العلم وأهله

إلى من آزرني في إتمام الدراسة

أهدي عملي هذا

عائشة سليمان سعيد أبو رداحة

إقرار

أقرُّ أنا مقدِّمة هذه الرِّسالة، أنَّها قُدِّمَتْ لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنَّها نتيجة أبحاثي الخاصَّة، باستثناء ما تمَّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنَّ هذه الرِّسالة أو أي جزء منها لم يُقدِّم لنيل درجة عليا، لأية جامعة أو أيِّ معهد.

التَّوقيع

الاسم: عائشة سليمان سعيد أبو رداحة

التاريخ: 2015/11/ 22م

الشكر والتقدير

أما وقد تمت هذه الدراسة، فأني أتقدم بجزيل الشكر من أستاذي الدكتور جمال غيطان، الذي تفضل بالإشراف عليها، ولم يألُ جهدًا في مراجعتها وتدقيقها وتقديم النصح والتوجيه، فكان خير مشرفٍ وخير ناصح، فما استوت هذه الدراسة إلا بما قدّم من توجيه وتصحيح.

كما أتقدم بالشكر من الأستاذين الكريمين عضوي المناقشة، الدكتور نبيل زيادة والأستاذ مشهور حبازي اللذين تفضّلا بقراءتها ومراجعتها وتصويب ما ورد فيها من أخطاء، وأتقدم بالشكر من كلّ أساتذتي الأفاضل، الذين كان لهم كلّ الفضل في إتمام هذه المرحلة الدراسية، وأتقدم بالشكر من الزميل عماد ريان الذي قام بطباعة الرسالة، وأخيرًا أتقدم بالشكر من كلّ من أزرني في إتمام هذه الدراسة.

الباحثة: عائشة سليمان سعيد أبو رداحة

المُلخَص.

جاء هذا البحث **توظيف الموروث في أدب ابن عبدون**، يهدف إلى دراسة الموروث في أدب ابن عبدون شعراً ونثراً من حيث المضمون والتشكيل الفني، وتعود أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف عن جوانب الفكر الديني والإنساني الموروث، وعناصر التشكيل الفني الموروثة في شعر ابن عبدون ونثره. ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع أنني أردت إلقاء الضوء على أدب ابن عبدون، والبحث عن الجذور لفكره والعناصر الفنية التي يتشكّل منها هذا الأدب، خاصة أنّ الموروث في أدب ابن عبدون لم يُدرس دراسة متكاملة من قبل، من حيث المضمون والشكل.

وقد اتّبع في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ، والمنهج التحليلي مستأنسة بالمنهج التاريخيّ، وجعلتها في مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول التعريف بمظاهر الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي عاشها الشّاعر وأثّرت في أدبه، والتّعريف بالأديب وشيوخه وعائلته، وفي الفصل الثّاني تحدّثت عن الموروث الفكريّ من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتّوراة، والتّاريخ الإنساني، والأدب العربي شعراً ونثراً في أدب ابن عبدون، ووقفت في الفصل الثّالث على عناصر التشكيل الفنّي في أدبه، من حيث الصّورة، والموسيقا، واللغة، وطريقة الشّاعر في بناء نصوصه، وأنهيت الدراسة بخاتمة ضمّنتها نتائج الدراسة وتوصياتها.

ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة: تأثر ابن عبدون بالقرآن الكريم والحديث الشّريف فكراً وعقيدةً ومنهجاً، وتأثره بمن سبقه من الشّعراء وأساليبهم، وتوظيفه الموروث التاريخي في أدبه، فظهر في شعره الكثير من الأحداث والشّخصيات التاريخيّة، واهتمامه بالصّورة الفنيّة الموروثة، فجعلها واحدةً من أهمّ وسائله الفنيّة في التّعبير عن مضامينه ومشاعره، وجاءت الموسيقا الداخليّة والخارجيّة عنده

تقليدية، لكنّها متناسقة مع أغراضه الشعريّة، وجاءت لغته الشعريّة موحية معبرة جزلة، تميل إلى الغرابة أحياناً، أمّا لغته النثرية فهي جزلة قوية تقوم على الصنعة البديعية غير المتكلفة.

وجاء البناء الفني في قصائده ورسائله هندسياً متقناً، إذ جعل لكل قصيدة أو رسالة مقدمة تناسب موضوعه وتتناسق معه، ثمّ يفصل موضوعه، ويختم النصّ بما يناسب الغرض.

وأوصت الباحثة الدارسين بدراسة الموروث عند شعراء الأندلس الآخرين، ودراسة الظواهر الفنية الأخرى في أدب ابن عبدون سوى قضية الموروث؛ لإبراز الظواهر التي أبدع ابن عبدون والشعراء الأندلسيون في تناولها؛ لإبقاء تراث أجدادنا حياً في نفوسنا وفي نفوس الأجيال القادمة.

Use inheritance in Ibn Abdoon Literature

Prepared By : **Aysha Suleiman Said Abu Radaha**

Supervisor: **Jamal Gheithan**

Abstract

This research entitled (**use inheritance in Ibn Abdoon Literature**). It aims at studying the civilized inheritance in Ibn Abdoon literature in terms of poetry and prose featured by artistic content and form . The importance of this study lies in disclosing aspects of inherited religious and human thought, as well as elements of inherited formation in Ibn Abdoon poetry and prose.

The major reasons motivated me to write this topic is that I want to shed light on Ibn Abdoon literature, searching old roots of his thought and artistic elements which formed his literature particularly that the inheritance in Ibn Abdoon literature had not been studied before neither in terms of content nor form.

This study has followed Historical approach, descriptive approach, Analytical approach, which contained introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter highlighted features of political, social and cultural life which the poet lived and affected his literature, introducing him, his elderly life, his teachers, and his family .In the second chapter, I focused on his intellectual inheritance from the holy Quran, prophet's sayings(Hadith), Torah, human history, Arab literature in terms of prose and poetry in Ibn Abdoon literature. The third chapter has clarified elements of artistic formation in his literature in terms of image, music, language and method of poet in structuring his texts. I concluded the study with a conclusion in which included study results and researcher's recommendations.

The major results which I concluded from this study that Ibn Abdoon was affected by the Holy Quran and prophet's sayings in terms of thought, faith and methodology. He was also affected by those who preceded him of poets and their styles. He also used the historical inheritance. His poetry has showed many incidents and historical personalities. He also concerned with inherited artistic images and made it one of his artistic means to express his content and feelings. The internal and external music which he adopted was harmonized and traditional and suited his poetical purposes. Ibn Abdoon poetical language was easy, clear and tend to be strange and elaborated. Concerning his prosal language, it was strong and elaborated based on artificial amazing featured. Moreover; the artistic structure in his poems geometric checkered. He made for each poem or message an introduction that suite his topic and in harmony with it. Then' he tackled the topic in detail and also concludes in a manner that suite the purpose.

The researcher recommended giving more attention and importance to the old Arab Literature in general and the Andalusia Literature in particular so as to show their innovative features and to keep our ancestors' heritage alive in our souls.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هداية للناس، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه بإحسان، وبعد:

فإن هذا البحث يهدف إلى رصد (الموروث في أدب ابن عبدون) شعرًا ونثرًا، من حيث المضمون والتشكيل الفني، والكشف عن جمالياته؛ لمعرفة تواصل أدبه بالموروث، وتعود أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف عن جوانب الفكر الديني والإنساني الموروث، وعناصر التشكيل الفني الموروثة في شعر ابن عبدون ونثره، وتمييزه في توظيف هذا الموروث، وذلك عن طريق تتبع الموروث الديني والإنساني في أدبه، خاصة مرثيته المعروفة بالبسامة، مما يقتضي العودة إلى شروح القدامى لها، وهذا يعني إحياء جزء من التراث القديم وإبقائه في أذهان الدارسين.

ولعل الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع تعود إلى أيام دراستي الأولى، إذ وجدت أنني أميل إلى الأدب الأندلسي، وما فيه من روائع أدبية، فأردت إلقاء الضوء على أدب أحد شعراء الأندلس، فاخترت ابن عبدون لدراسة الموروث في أدبه، والبحث عن الجذور لفكره، والعناصر الفنية الموروثة التي يتشكّل منها هذا الأدب، خاصة أنّ أدبه لم يُدرس دراسة فنيّة متكاملة من قبل، من حيث الموروث في المضمون والشكل.

أمّا الدراسات السابقة فلم أعتز على دراسة متخصصة في موضوع هذه الدراسة، أمّا الدراسات الموازية فمنها: **توظيف الموروث في شعر الأعشى**، وهي رسالة ماجستير أعدتها وسام عبد السلام عبد الرحمن أحمد، بإشراف إحسان الديك، وقدمتها إلى جامعة النجاح الوطنية سنة 2011م، و**توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد وأمّية بن أبي الصلت**، وهي رسالة ماجستير أعدتها سناء أحمد سليم عبد الله بإشراف إحسان الديك، وقدمتها إلى جامعة النجاح الوطنية سنة 2004م، وأثر الموروث

الشعري القديم في ديوان الشعر السعودي الحديث، شعر المحافظين، وهي رسالة دكتوراه أعدها طيب أحمد الحارثي بإشراف صالح جمال بدوي، وقدمها إلى جامعة أم القرى سنة 1420هـ، والتناص في أدب ابن زيدون، وهي رسالة دكتوراه أعدها سليم ساعد السلمي، بإشراف يونس شنوان شديفان، وقدمها إلى جامعة اليرموك سنة 2012م.

وقد اتبعت في هذه الدراسة ثلاثة مناهج هي: المنهج التاريخي، إذ تتبعت بعض الجوانب التاريخية من حياة ابن عبدون وعصره ومجتمعه، والمنهج التحليلي، إذ قمت بتحليل المعاني الموروثة التي وظّفها ابن عبدون في شعره، وقارنت بين أدبه وبين الموروث القديم الديني والأدبي والتاريخي، والمنهج الوصفي، إذ درستُ المواضيع التي تأثّر فيها ابن عبدون بهذا الموروث من حيث المضمون والشكل الفنّي. واعتمدت في التوثيق المختصرات التي يعتمدها منهج جامعة القدس، فمصطلح (م.ن) يعني المرجع نفسه، ومصطلح (م.س) يعني المرجع السابق، وهذا إذا كان المرجع قد وُظّف في الصفحة نفسها.

وجعلتُ هذه الدراسة في مقدمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة، وقد تناولت في الفصل الأوّل التعريف بالبيئة السياسيّة والاجتماعيّة التي كان يعيش فيها ابن عبدون، والتعريف به وبصفاته وبأسرته، وفي الفصل الثاني تناولت: مفهوم التراث، وتوظيف الموروث الديني: القرآن الكريم والحديث الشريف، وتوظيف الموروث التاريخي وتوظيف القبائل والشخصيات والأحداث التاريخية، وتوظيف الموروث الأدبي في شعر ابن عبدون، ثم توظيف هذا الموروث في نثره، وتناولت في الفصل الثالث التشكيل الفنّي في الموروث الأدبي عند ابن عبدون: الصّورة الفنيّة، والموسيقا الشعريّة، واللغة الشعريّة والنثريّة، وبناء النصّ.

وقد اعتمدت في دراستي ديوان ابن عبدون بتحقيق سليم التنير، مستفيدةً مما أثبتته بشأن الموروث، إذ أشار إلى مواضع كثيرة من المضامين الموروثة في شعر ابن عبدون، واعتمدت عددًا من المصادر منها: الذخيرة لابن بسام والذي أشار إلى بعض الجوانب من تأثر ابن عبدون بالموروث من حيث المضمون والشكل، ومنها العمدة لابن رشيق، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري، وبعض دواوين الشعراء، وعدد من المراجع منها: المفصل في تاريخ العرب لجواد علي، والتراث والتجديد لحسن حفني، والصورة في التشكيل الشعري لسمير علي الديلمي، والتراث والحدائث لمحمد الجابري.

وأخيرًا وبعد إتمام هذه الدراسة، فإنني بذلت كلَّ جهدي محاولةً جعلها في حلةً بهيئة، ولا أدعي أنني أحصيت كلَّ صغيرة وكبيرة تتعلق بالموروث في شعر ابن عبدون، فما أصبت فيه فبتوفيق من الله الكريم، وما أخطأت فبقصور منِّي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

ابن عبدون عصره وسيرته

المبحث الأول: عصر ابن عبدون

أولاً: الجانب السياسي

ثانياً: الجانب الاجتماعي

1 - ظاهرة الجلاء

2- ظاهرة الترف

3- الفقهاء

ثالثاً: الحياة الثقافية والفكرية

المبحث الثاني: سيرة ابن عبدون

أولاً: اسمه ومولده ونشأته

ثانياً: عائلته

ثالثاً: شيوخه

رابعاً: آثاره

خامساً: شعره

سادساً: وفاته

الفصل الأول

ابن عبدون عصره وسيرته

التمهيد

يُعدّ ابن عبدون من الشّخصيّات المرموقة، ومن العبقريّات الفريدة، التي تزخر بها الأندلس، فقد اجتمعت لديه مواهب متعدّدة، وتوافرت فيه إمكانيات علمية وثقافية قلّمًا تهيأت لغيره من الأندلسيين، ما جعل القدامى من الأندلسيين والمشاركة يعجبون بشعره ونثره، ويأتون على ذكره بين فحول الأدباء في عصر ملوك الطوائف، وقد تناولوا شعره، وبخاصة مرثيته في بني الأفطس⁽¹⁾، بالشرح والتذييل في كتب ألّفت لهذه الغاية، وهذا لم يأت إلا لقلّة من الشعراء.

المبحث الأول: عصر ابن عبدون

لا بدّ لمعرفة العصر الذي عاش فيه ابن عبدون من إلقاء الضّوء على الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي لعبت دورًا كبيرًا في حياته وحياة مجتمعه من حيث الاستقرار والاضطراب، وما يتبع ذلك من ظواهر اجتماعيّة وحركات فكريّة؛ لذا فمن الضّروريّ دراسة هذه الجوانب لمعرفة انعكاسها على حياة ابن عبدون، وتأثيرها عليه.

(1) - بنو الأفطس هم أصحاب بطليوس منذ سنة 421هـ - 478هـ، وهم من البربر، وقد انتسبوا إلى قبيلة نجيب العربية، كانت مملكتهم واسعة، اشتبكت مع بني عباد وبني ذي النون في عدة معارك، ومن أشهر رجالها محمد ابن الأفطس الملقب بالمظفر.

ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، 13؛ الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، 24.

أولاً: الجانب السياسي

تولّى المنصور بن أبي عامر الخلافة الأمويّة، وكان هذا بمثابة الضربة الأولى التي وجهها القدر إلى رأس الخلافة الأمويّة بعد بلوغها قمة المجد، فكان المنصور يطمع في التخلّص من هشام ابن الحكم لكبر سنّه، فمارس الاستبداد، ومكر بأهل الدولة، واستطاع بدائه أن يستأصل منافسيه من صقالبة وعرب، وحجّاب وجند، وقدم البرابرة وأسقط العرب عن مراتبهم، وتمّ له ما أراد من الاستقلال⁽¹⁾.

وكانت ضربة القدر الثّانية إلى الخلافة الأمويّة هي الفتنة البربريّة؛ إذ أحدثت دماراً شديداً في قرطبة عاصمة الحضارة الأندلسيّة، بما خلّفت من قتل وتهجير وحرق، وكان ذلك عندما تولى سليمان المستعين حكم قرطبة وترعّم البرابرة، وكان البرابرة قد تحالفوا مع النصارى وأبادوا كثيراً من أهل قرطبة⁽²⁾، وقد وصف ابن حيّان الأيام التي مرّ بها أهل قرطبة بأنّها شديدة قبيحة عم فيها الخوف، واشتعلت الفتنة وعلت المعصية، وانعدم الأمن، وذمّ هذه الدولة، فوصف منشأها بالفاجر، ووزراءها بالدناءة، وذكر أنّها جاءت بالمصائب على أهل الأندلس⁽³⁾.

وبعد هاتين الضّربتين تقوّض الصّرح الشّامخ الذي شاده أمراء بني أميّة في الأندلس، وتفكّكت الدولة، وجعل الأمراء يتصارعون فيما بينهم، وكل واحد يظنّ أنّه قادر على القضاء على الفتنة، وإعادة بناء الدولة⁽⁴⁾، واستقلّت المدن الكبرى فيها، وقام نظام ملوك الطوائف، وأخذت العناصر

(1) - ينظر: المقري، نفع الطيب، 1/ 396-397، أحمد هيك، الأدب الأندلسي، 342-346.

(2) - ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، 133؛ التتير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 12.

(3) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، 1/ 36.

(4) - ينظر: محسن، عيسى خليل، أمراء الشعر الأندلسي، 33، الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، 34.

المختلفة تقسم البلاد، فكان للصقالبة بلدان الشرق، وللبربر الوسط والجنوب والغرب، وأصبحت هذه المدن تتحارب فيما بينها، بل إن بعض الأمراء أدّى الجزية لمسيحيي الشمال، مما قوى في نفوسهم فكرة استرداد الأندلس ، وقد اقتسم ملوك الطوائف ألقاب الخلافة وتوزّعوها، فتلقّبوا بالنّاصر والمنصور والمعتمد والمظفر⁽¹⁾.

كما استقلت الدولة الحمّوديّة في قرطبة سنة 407هـ، واستقلت الدولة الهوديّة في سرقسطة سنة 431هـ، بإمرة سليمان بن أحمد بن هود، وبعد وفاته خلفه ابنه المقتر، واستقلت الدولة العامرية في بنسية سنة 412-478هـ، وهم من موالى بني عامر، واستقلت الدولة الجهورية في قرطبة سنة 422-461هـ، بقيادة أبي الحزم بن جهور، أمّا إشبيلية فقد استقلّ بها اللخميون بإمرة محمد ابن إسماعيل اللخميّ، واستمرت إمارتهم منذ 414 - 484هـ، وهي من أهم إمارات الطوائف؛ لما شهدت من حركة فكريّة وأدبيّة وعلميّة، وخلف إسماعيل ابنه عبّاد الملقّب بالمعتضد، وكان يحارب جيرانه العرب والمسلمين، ويدفع الجزية للمسيحيين، واستقلت صنهاجة بغرناطة بإمرة زادي بن زيري، وكان داهية شجاعاً حسن التدبير، وبقيت إمارتهم حتى سنة 483هـ، واستقلّ القاضي ابن يعيش بإمرة طليطلة، ثمّ خلفه إسماعيل بن ذي النون، وهما من قبائل هوّارة البربريّة، واستقلّ عبد الله الأفطس بإمرة بطليوس سنة 412هـ، ثمّ خلفه ابنه المظفر وهو من أعلم أمراء الطوائف، وقد دعا أبناءه العرب إلى توحيد كلمتهم أمام مسيحيي الشمال، واستمرت إمارتهم إلى أن سقطت بطليوس في يد المرابطين سنة 487هـ⁽²⁾.

(1) - ينظر: محسن، عيسى خليل، أمراء الشعر الأندلسي، 33.

(2) - ينظر: محسن، عيسى خليل، م.ن، 34-36.

وكانت دولة بني الأفتس متحضرة، فقد نهضت بالعلوم والفنون، وقد عاش في كنفها الشاعر ابن عبدون⁽¹⁾، يقول ابن خاقان عنه: " إنه عظيم ملك ابن الأفتس، ونظيم سلكهم⁽²⁾"، وقد كان ابن عبدون شاعرًا جوالاً يرتاد مجالس اللهو، إلى أن جاء واستقرّ عند المتوكل بن الأفتس⁽³⁾، وعاش في كنفه، وأصبح وزيرًا وكاتبًا لمليك الدولة الأفتسيّة، إلى أن لعبت الوشايات ضدّه، فغيرت قلب الأمير عليه، فغادر بطليوس وقد جرحت كرامته، ثمّ دارت الأيام وعاد إلى قصر المتوكل مرّة أخرى، وقام برثاء المتوكل وولديه الفضل والعباس عندما قتلا على أيدي المرابطين بقصيدته المشهورة البسامة⁽⁴⁾. كانت هذه الإمارات تتصارع فيما بينها، وفي الوقت نفسه تدافع عن سلطانها من خطر النصارى، ثمّ جاء المرابطون إلى الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين⁽⁵⁾، والذي هزم جيش الفونسو السادس، في معركة الزلاقة سنة 479هـ، ورجع إلى المغرب، وترك بعض جيشه في الأندلس منعًا للخطر، لكنّ تحرّشات الإسبان استمرّت فاستنجد العلماء والفقهاء بيوسف بن تاشفين، فلبّى نداءهم سنة 483هـ، ولمّا رأى تخاذل الأمراء استولى على الأندلس جميعها خلال بضع سنوات وضمّها إلى دولة

(1) - ينظر: محسن، عيسى خليل، أمراء الشعر الأندلسي، 36.

(2) - ابن خاقان، قلائد العقيان، 123.

(3) - المتوكل بن الأفتس (ت 489 هـ)، أبو محمد عمر بن محمد، تلقب بالمتوكل على الله، آخر ملوك بني الأفتس أصحاب " بطليوس"، ومن أعمالها يابرة وشنترين، أحسن في النظم والنثر، واشتهر بالشجاعة والفروسية. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/ 596-597؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 16-62؛ الزركلي، الأعلام، 60/5.

(4) - ينظر: التنير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 48.

(5) - أبو يعقوب يوسف بن تاشفين (410 - 500هـ)، ولد في صحراء المغرب، أمير المسلمين، وملك الملتمين، سلطان المغرب الأقصى، وياني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 112/7؛ الزركلي، م.س 222/8.

المرابطين سنة 495هـ⁽¹⁾، ولمّا توفي يوسف بن تاشفين، وقد بلغت دولة المرابطين ذروة مجدها في عهده، خلفه ابنه عليّ، غير أنّ عليّاً انصرف إلى الفقه والعلم فأغفل شؤون الدولة والحكم، فضعفت دولة المرابطين وآلت إلى السقوط على يد أمير دولة الموحدين عبد المؤمن بن عليّ، والذي جهّز جيشاً وأرسله إلى الأندلس، فأنقذ قرطبة من المسيحيين⁽²⁾.

هذه بعض العناصر والأسر التي تكوّن منها مجتمع الأندلس في عصر ابن عبدون، والتي ساهمت بوجهٍ ما في تطوّر الأندلس أو ضعفها وتفكّكها.

ثانياً: الجانب الاجتماعي:

لا يمكن الإمام بجميع مظاهر الحياة الاجتماعية التي أثّرت في المجتمع والأدب في هذا العصر؛ لذا سأقف على بعض الأمور الاجتماعية ومنها:

1- ظاهرة الجلاء

ظهرت هذه الظاهرة نتيجة للفتنة البربرية، إذ هرب الكثير من أهل قرطبة حفاظاً على نفوسهم، وتفرّقوا في بلاد الأندلس، وتزايدت حركة الجلاء إثر توالي سقوط المدن الأندلسية، وكثرة الحروب الداخليّة والخارجيّة، ومن العوامل التي زادت من حركة الجلاء، الخروج طلباً للرزق، والهروب من دفع الضرائب، كما حصل في بلنسية وشاطبة، عندما تولّى أمرهما العامريّان مظفر ومبارك، ومنها

(1) - ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 29/32؛ عنبتاوي، عدنان فائق، حكايتنا في الأندلس، 102؛ الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، 36.

(2) - ينظر: الذهبي، م.س، 28/32-29؛ عنبتاوي، عدنان فائق، م.س، 102-104.

الصراع العنصري بسبب تغلب البربر بعد الفتنة البربرية، واستيلائهم على مناطق واسعة، واستبداد جنودهم بالأمور⁽¹⁾.

2- ظاهرة الترف

الترف من الظواهر الاجتماعية ذات الأهمية الكبيرة التي سادت في عصر ملوك الطوائف، وقد كانت الضرائب التي فرضها الأمراء على الناس ثقيلة وكبيرة⁽²⁾، لسدّ الثغرات التي فتحوها على نفوسهم، ولدفع مرتبات الجند، ولكثرة الضرائب التي يتقاضاها الأذفونش، فقد بلغت الضرائب التي يتقاضاها العامريان مظفر ومبارك مائة وعشرين ألف دينار في الشهر عن بلنسية وشاطبة. وكان الأمراء ينفقون الضرائب في بناء القصور والبيوت والحدائق والبساتين، واقتناء الأثاث الفاخر، ومختلف أشكال الترف، فكانت الدار تكلف نحو مائة ألف دينار⁽³⁾، وهذا الجانب ما يزال قائماً ويذكرنا بمجد العرب في الأندلس. وقد أورد ابن بسام وصفاً لإحدى تلك الدور إذ يقول: "ولهذه الدار بحيرتان، قد نصت على أركانها صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز أحكم صياغة، تتخيل لمتأملها كالحة الوجوه فاغرة الشدوق، ينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء هوناً كرشيش القطر أو سحالة اللجين، وقد وضع في قعر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمى المذبح، محفور من رفيع

(1) - ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 32-33.

(2) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، 17/5؛ عباس، إحسان، م.س، 33-34؛ الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، 148.

(3) - ينظر: ابن بسام، م.س، القسم الثالث، 17/5؛ عباس، إحسان، م.س، 33-34.

المرمز، كبير الجرم، غريب الشكل، بديع النقش؛ قد أبرزت في جنباته صور حيوان وأطيار وأشجار...⁽¹⁾.

ومن مظاهر الترف أيضاً مجالس الخمر، وقد اقترن ذكرها كثيراً بالتحذير من غدر الأيام، وقصر العمر⁽²⁾، ومن هذه المظاهر اقتناء الجوارى والمفاخرة بها، وكان إنفاق المال على النساء يفوق التصور، ومن أمثلة ذلك ما يُذكر أنّ المعتمد بن عباد⁽³⁾ توفي عن نحو ثمانمائة امرأة، أمهات أولاد وجوارٍ⁽⁴⁾.

ومقابل مظاهر الترف هذه في عصر ملوك الطوائف، فقد عانت طبقات الشعب الأندلسي من الحرمان والفقر والفاقة، هذه الطبقات التي نقت على أصحاب الأموال المجموعة من أموال الضرائب، مما دفع الكثير من أبناء الشعب إلى الكدية والسؤال، أو إلى الزهد والقناعة⁽⁵⁾.

كان القادة والوزراء والسادة هم المترفين، والمستفيدين من أموال الضرائب في عصر ملوك الطوائف، في الوقت الذي خضع الشعب فيه للفقر والاستبداد والقهر، ولم يختلف الأمر في أيام المرابطين، فقد فرض يوسف بن تاشفين ذات الضرائب التي فرضها ملوك الطوائف، غير أنّه كان يتعفف عن أموال الناس، بينما كان أمراء الطوائف منغمسين فيها، وقد تأثر ابن عبدون بذلك كلّه

(1) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، 133/7.

(2) - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 22.

(3) - المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة؛ خلف أباه على عرش قرطبة وإشبيلية وما والاهما، ودام حكمه ثلاثاً وعشرين سنة، توفي سنة 488هـ.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 21/5؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 54/37.

(4) - ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، 55/2.

(5) - ينظر: أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، 348-349؛ التنوير، سليم، م.س، 19.

فذكره في رسالته (الحسبة)، كما ذكر ظلم الملتئمين، وأنهم اتخذوا من اللثام ستراً لإساءاتهم وظلمهم، وأنهم الجنود والحراس بالطمع والجشع، خاصة في إشبيلية، إذ أخذوا الرّشوة وأكلوا الرّيا⁽¹⁾.

3- الفقهاء

كان الفقهاء يقومون بأعمال هامّة في حياتهم الدنيويّة والدنيويّة، وحظي الفقيه بذلك بمكانة مرموقة، وسلطة كبيرة وخطيرة إذا هو أحسن استغلالها وابتعد عمّا يسيء إليه.

ومن الأعمال البارزة التي قام بها الفقهاء في عصر ملوك الطوائف مشاركة ابن جهور وبنو ذي النون الأمر والنهي، وكان منهم حاكم مستبدّ اتّصف بالقوة وسفك الدماء كالقاضي ابن عبّاد، وآخر يدعو إلى الوحدة ورصّ الصفوف، و الوقوف في وجه العدو النّصراني⁽²⁾، كالفقيه أبي الوليد الباجي⁽³⁾.

ولمّا تولّى عليّ بن يوسف بن تاشفين⁽⁴⁾ أمر دولة المرابطين، كان لا يقطع أمراً دون مشاورة الفقهاء، إذ قامت على أساس ديني، ولا يتم الأمور إلا بحضور أربعة منهم، وقد بلغ الفقهاء في عهده مبلغاً عظيماً، وكان لا يقرب منه إلا من كان عالماً بالفروع، على مذهب الإمام مالك دون غيره، فانتشرت كتب المذهب وعُمل بمقتضاها، ونبذ سواها، ونبذ علم الكلام، ونظر الفقهاء إليه أنّه

(1) - ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، 145-150.

(2) - ينظر: عباس، إحسان، م، ن، 30.

(3) - أحد علماء المذهب المالكي، توجه إلى المشرق وامتدت رحلته ثلاثة عشر عاماً، اشتهر أبو الوليد بدعوة أمراء المرابطين إلى الوحدة ورص الصفوف، توفي سنة 474هـ.

ينظر: ابن خاقان، قلاند العقيان، 599/3؛ ابن الأبار، الحلة السّيراء، 98/2.

(4) - علي بن يوسف بن تاشفين، تلقب بأمرير المسلمين وسار على طريق أبيه في الغزو والجهاد، كان زاهداً، كريماً مع العلماء والفقهاء، وأقبل على علوم الدين، توفي سنة 537هـ.

ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 188/6-189؛ الزركلي، الأعلام، 33/5.

بدعة كرهها السلف، وقد أُحرقت كتب الإمام الغزالي⁽¹⁾، وعوقب من وجد شيئاً منها عنده، وقد انصرف الناس إليهم، وكان هذا سبباً في زيادة أموالهم ومكتسباتهم⁽²⁾؛ مما أثار حفيظة الشعب، فجعل الناس يذمّونهم، ويتهمون عليهم وعلى أسيادهم المرابطين، وكثر ذلك حتى إنّ رسالة لأبي مروان بن أبي الخصال نالت شهرة واسعة، لا لشيء إلا أنّها تحتوي على سبّ جند المرابطين، الذين تخاذلوا عن قتال العدو⁽³⁾.

ثالثاً: الحياة الثقافية والفكرية

كانت الثقافة في عصر ملوك الطوائف الثمرة الطيبة التي نمت من البذور التي غرست في العهود السابقة في التربة الأندلسية الخصبة، إذ استجلبوا كتب المشاركة ومؤلفاتهم، فكانت المكتبات الضخمة والمتنوعة⁽⁴⁾.

واستمرّ التدفّق الثقافي، كما استمرّ تدفّق الكتب المشرقية أيام ملوك الطوائف في شتى العلوم، فدخلت الأندلس كتب ابن سينا وكتب الفارابي، ورسائل إخوان الصفا، وديوان المتنبي، ومقامات الحريري، ورسائل بديع الزمان الهمذاني وخطب ابن نباتة والنّعالي، وغيرها مما ترك أثراً واضحاً في

(1) - أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، لقب حجة الإسلام وزين الدين والفقير الشافعي، سلك طريق الزهد واجتهد في العبادة، له كتاب إحياء علوم الدين.

(2) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/216-217؛ الزركلي الأعلام، 7/22.

(3) - ينظر: المراكشي، المعجب، 130-131.

(4) - ينظر: المراكشي، م.ن، 134؛ عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 38-39.

(4) - ينظر: التتير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 27.

الفكر الأندلسي، وقد اشتغل الأندلسيون بهذه الكتب دراسة وشرحًا ومعارضة واختصارًا، إلى جانب مؤلفاتهم في مختلف العلوم من نحو وفقه وتاريخ وحديث وتراجم وأدب⁽¹⁾.

لقد جدّ ملوك الطوائف في إعزاز العلم وإكرام العلماء، قاصدين إرضاء العامة، ومقدّرين ما للعلم من أثر في حفظ ملكهم، فكان منهم العلماء والأدباء، وكثيرًا ما كانوا يدعون العلماء إلى التأليف برسمهم، كما فعل أبو علي القالي، إذ جعل كتابه الأول باسم الحكم المستنصر، كما تعدّدت مراكز الثقافة بتعدّد العواصم⁽²⁾.

وكان عصر ملوك الطوائف مميّزًا في شأن الشعر والشعراء، إذ تنافسوا في اجتذاب الشعراء إليهم⁽³⁾، وفي هذا يقول المقري: "ولم تنزل الشعراء تتهادي بينهم تهادي النّواصم بين الرياض وتفتك في أموالهم فتكة البراض حتى إن أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدًا منهم بقصيدة إلا بمائة دينار..."⁽⁴⁾.

ولا يختلف الأمر أيام المرابطين، فما أقل نجم دولتهم إلا بعد أن تركوا بصمتهم على التّراث العلمي والأدبي، فقاموا باستقطاب أهل العلم والفنّ ورعايتهم، وإغداق المال عليهم، وكان لتوحيد الأندلس مع المغرب أثر عظيم، إذا كانت المغرب توفر الحماية للأندلس، وكانت الأندلس تغدق على المغرب الثقافة والفكر والأدب، مما أدّى إلى بناء نهضة علمية في البلدين، فظهر عدد من كبار المفكرين والأدباء والعلماء، كابن زهر وابن رشد وأبي بكر بن طفيل⁽⁵⁾.

(1) - ينظر: عبّاس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 57-58.

(2) - ينظر: خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، 211-213.

(3) - ينظر: غومس، إميلييو غرسيه، الشعر الأندلسي، 45.

(4) - ينظر: المقري، نفع الطيب، 190/3.

(5) - ينظر: عنباتوي، عدنان فائق، حكايتنا في الأندلس، 103.

وعصر ملوك الطوائف هو عصر تصنيف المجموعات الكبيرة كالذخيرة وفلاذ العقيان وغيرهما، وفي عصر المرابطين لم يمت الشعر الأندلسي، وإنما تكيف بما يلائم الظروف الجديدة التي أحاطت به، فقد كانت سيادة المرابطين في الأندلس قصيرة، ولم يتهيأ لها الاستقرار، ولا ما يهذب خشونتها، ولكن لا ينبغي أن نغفل أن الذين جاؤوا بعد يوسف بن تاشفين قد استسلموا لسلطان الثقافة، وأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفارقة، فحفلت دواوين الإنشاء عندهم بالكتّاب والناثرين، الذين أكثروا من الشعر في رثاء مجد بني الأفضس أصحاب بطليوس، ومنهم ابن عبدون، ورائيته ذائعة الصيت من أشهر ما قيل فيهم⁽¹⁾.

(1) - ينظر: غومس، إميليو غرسيه، الشعر الأندلسي، 56-58.

المبحث الثاني: سيرة ابن عبدون أولاً: اسمه ومولده ونشأته

عبد المجيد بن عبدون الفهري⁽¹⁾ اليابري⁽²⁾، ويكنى أبا محمد، ويلقب بذي الوزارتين؛ لأنه عمل في خدمة بني الأفطس حتى زوال دولتهم عام 487هـ، ثم في خدمة المرابطين بعد ذلك سنة 500هـ، ولد نحو سنة 440هـ في يابرة⁽³⁾.

لم يتفق المؤرخون على تاريخ محدد لميلاد ابن عبدون، لكن ابن بسام ذكر أنه درس على أبي الوليد بن ضابط وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأن ابن ضابط لقي أبا مروان الطنبلي وأبا مروان ابن سراج وسمع منهما سنة 454هـ، واستقر في بطليوس لتعليم اللغات والآداب⁽⁴⁾، ويذكر ابن عبدون كبر سنّه، وما فعلته به السنون، في عتابه للمتوكل الذي قتله المرابطون هو وولديه الفضل والعباس سنة 487هـ⁽⁵⁾، وبتتبع هذه الأحداث يتبين أن ابن عبدون ولد نحو 440هـ أو بعدها بقليل.

نشأ ابن عبدون وترعرع في يابرة، وتلقى علوم اللغة والفقه والأدب فيها، كان يجيد قول الشعر والنثر، وبلغ من تنقّفه بعلوم العصر مبلغاً عظيماً جعل المتوكل عمر بن الأفطس أمير يابرة يقرّيه إليه، وكذلك أمير بطليوس الذي اتخذه كاتباً لسره، ثم صار وزيراً لدولة بني الأفطس حتى انهيارها

(1) - فُهر قبيلة من قريش تنتسب إلى فُهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن معد بن عدنان، وهم قريش ولا قريش غيرهم، ولا يكون قرشيًّا إلا منهم، ولا من ولد فُهر إلا قرشي.
ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 12.

(2) - يابرة مدينة قديمة تقع غربي الأندلس، اشتهرت في مملكة بطليوس، ومنها العالم الكبير أبو بكر عبد الله ابن طلحة اليابري، وقد ذكرها ابن عبدون كثيراً في شعره. ينظر: الحموي، معجم البلدان، 424/5.

(3) - ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 2/301؛ الزركلي، الأعلام، 4/149؛ الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء، 4/127؛ الطريقي، يوسف عطا، شعراء المغرب والأندلس، 167.

(4) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، 7/35، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 330.

(5) - ينظر: ابن بسام، م.س، القسم الثاني، 3/533.

سنة 485هـ، بعد ذلك التحق بدولة المرابطين، وأصبح كاتب سرّ علي بن يوسف المرابطي منذ سنة 500هـ⁽¹⁾.

عاش ابن عبدون في بلاط المتوكل بن الأفطس في بطليوس، وكان من أكابر الدولة، وحظي عنده بالصحبة، ثم جعله المتوكل كاتبه ووزيره سنة 473هـ، وكان ابن عبدون كثير الحفظ حتى ذكر أبو مروان عبد الملك بن زهر في شأنه أنّه كان يحفظ كتاب الأغاني، فقد كان يتمتّع بجودة القريحة وقوة الذكاء⁽²⁾.

ارتاحت نفس ابن عبدون الطموحة إلى ما وصلت إليه من عزٍّ ومجد، لكنّ ذلك لم يدم طويلاً؛ إذ لعبت الوشائيات في البلاط ضده، فتغيّرت نفس المتوكل تجاهه، وجُرحت كرامة ابن عبدون إثر ذلك، فغادر بطليوس وهو يشعر بالوحدة والضيق⁽³⁾، وقال في حرقه وغضب: (الوافر)

وقد ضمتّ جوانحنا قلوباً أبث غير القصور أو القبور

إذا الكرماء نامت فوق ضيم فما فضل الكبير على الصغير⁽⁴⁾

ثمّ رحل ابن عبدون إلى إشبيلية قاصداً قصر المعتمد بن عباد، وأقام في قصره مدّة من الزّمن وهو يتذكّر ما فعله به المتوكل، وكأنّه عاش في قصره غريباً. ومدح المعتمد بعدّة قصائد، لكنّ المعتمد لم يجد فيه ما كان يرجوه من شاعر بلاطه، فلم يعتد على سماع شاعر يفخر بنفسه في بلاطه، فرحل ابن عبدون إلى بطليوس⁽⁵⁾، وكتب إلى المتوكل قصيدة مطلعها: (الطويل)

(1) – ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 82.

(2) – ينظر: بالنشيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، 118.

(3) – ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 533/3.

(4) – ينظر: ابن عبدون، الديوان، 155.

(5) – ينظر: ابن بسام، م.س، القسم الثاني، 528/3، التتير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 50.

خصمتُ الظبا عنكم على أنّها لدٌ⁽¹⁾ بقرع في كلِّ بارقةٍ رعدٌ⁽²⁾

والبيت عتاب ومدح للمتوكّل، ودفاع عنه في الوقت ذاته، فهو شجاع قويُّ صوته كصوت الرّعد، يضرب بسيف يتطاير الشرر منه.

وابتسمت الحياة لابن عبدون من جديد، لكنّها لم تدم طويلاً، إذ جاء المرابطون وقتلوا المتوكّل وابنيه الفضل والعبّاس، سنة 485هـ، فحزن ابن عبدون عليهم حزناً شديداً، ورثاهم في قصيدة فريدة هي (البسامة)، وهي رائيته المشهورة⁽³⁾ ومطلعها:

هي (البسامة)، وهي رائيته المشهورة⁽³⁾ ومطلعها:

(البيسط)

الدّهر يفجعُ بعدَ العينِ بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباحِ والصّورِ⁽⁴⁾

وعاد ابن عبدون بعد سفره الطّويل إلى بلده يابرة، ينتظر فرصة جديدة، إلى أن استدعاه القائد المرابطي سير بن أبي بكر بن تاشفين⁽⁵⁾ إلى إشبيلية، وأوكل إليه مهمة الكتابة مدّة من الزّمن⁽⁶⁾، ثمّ رحل إلى مراكش، وانضمّ إلى عدد من الكتاب الأندلسيين العاملين عند علي بن يوسف بن تاشفين، ولم يلبث طويلاً فاستأذنه لزيارة أهله، وعاد إلى يابرة، ولعلّ ذلك كان لتقدّمه في السنّ، أو لأنّ المرابطين قتلوا المتوكّل الذي كان له فضل كبير عليه.

(1) - اللد هو الخصم الذي يزيغ إلى الحق.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لدد.

(2) - ينظر: ابن عبدون، الديوان، 125.

(3) - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 51.

(4) - ينظر: ابن عبدون، م.س، 139.

⁵ - هو الأمير سير بن أبي بكر قائد عساكر يوسف بن تاشفين إلى سبتة وإشبيلية في أيام المعتمد بن عباد.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 30/5، 128/7؛ الزركلي، الأعلام، 181/6.

(6) - التنوير، سليم، م.س، 52.

ثانياً: عائلته

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن عبدون شيئاً إلا القليل عن عائلته، فلا يعرف عن آبائه أو أهله شيء، سوى ما ذكره القاضي عياض في الغنية أن له عمًّا، ولم يذكر عنه غير أن ابن عبدون سمع منه⁽¹⁾، وله أخ اسمه عبد العزيز، رثاه حين قُتل⁽²⁾، إذ قال فيه: (الوافر)

رُويَدَكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ الخُؤُونُ ستَأْكُلُنَا وإِيَّاكَ المُنُونُ
تُعَلِّنَا الأَمَانِي وهي زُورٌ وتُخَدِّعُنَا اللِّيَالِي وهي خُونُ
- مَضَى مَنْ لَوْ سَبَقْتُ لَمَا تَعَزَّى وَلَا جَفَّتْ لَهُ بَعْدِي جُفُونُ
وَأَبَقَّتْنِي يَدُ الأَيَّامِ فَرْدًا كَمَا غَدَرَتْ بِسُرَّهَا الِيمِينُ⁽³⁾

وهو يظهر في هذه الأبيات حزنًا شديدًا على فراق أخيه، ويشكو ويتألم من غدر الليالي والأيام، ويقائه وحيدًا في هذه الحياة.

ويفخر بنسب عائلته التي أنجبت أخاه عبد العزيز⁽⁴⁾ في القصيدة نفسها فيقول: (الوافر)

سَمَتْ فَوْقَ السَّمَاءِ بِهِ ظُهُورٌ وَمَا حَطَّتْهُ إِذْ حَطَّتْ بُطُونُ
فَأَنْضَبَتِ المَنَايَا مِنْهُ بَحْرًا جَوَارِيهِ صُفُونٌ لَأَسْفِينُ

فوصفه بالمجد وعلو المكانة.

(1) - عياض، القاضي، الغنية، 171؛ التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 45 .

(2) - ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 3 / 538 - 539.

(3) - ابن عبدون، الديوان، 186.

(4) - ينظر: ابن بسام، م.س، القسم الثاني/ 3 / 539.

لقد بقي الجزء الأكبر من حياة عائلة ابن عبدون مجهولاً؛ فلم يصلنا منها إلا جزء يسير، وبعض الإشارات التي ذكرها الذين ترجموا له.

ثالثاً: شيوخه

تهيأت لابن عبدون منذ نعومة أظفاره فرص اقتباس الثقافة وصقل الموهبة الأدبية، إذ تلقى علوم العربية وفنونها، على أيدي علماء كبار كان لهم الدور البارز في تكوين هذه الثقافة. ومن الشيوخ الذين تتلمذ ابن عبدون عليهم، ابن ضابط النحوي⁽¹⁾، والأعلم الشنتمري⁽²⁾، وعبد الملك بن سراج⁽³⁾، وأبو بكر عاصم بن أيوب⁽⁴⁾ البطليوسي⁽⁵⁾.

لقد تلقى ابن عبدون دراسته الأولى في بلدة يابرة، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ النحو واللغة وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان أستاذه في ذلك الوقت ابن ضابط النحوي، وهو الذي غرس

(1) - هو أبو الوليد محمد بن علي يعيش من أهل المرية، عُرف بابن ضابط، لقي بالمرية عبد الدائم القيرواني فأخذ عنه، ولقي بقرطبة أبا مروان الطبري وأبا مروان بن سراج فسمع منهما سنة 454هـ، وجلس لتعليم واللغة.

ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، 35/7؛ ابن الأثير، التكملة لكتاب الصلة، 330/1.

(2) - هو يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي، يعرف بالأعلم، من أهل شنتمرية، يكنى أبا الحجاج، رحل إلى قرطبة سنة 433هـ وأقام بها مدة، له شرح الشعراء الستة الجاهليين، توفي سنة 476هـ.

ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 36؛ المقري، نفح الطيب، 75/4؛ الجبوري، كامل سليمان، معجم الأدباء، 60/2-61.

(3) - أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله مولى بني أمية، وزير، إمام محدث، وأديب عالم باللغة، من بيت علم ووقار في قرطبة، برع في علم اللسان، عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر سنة، ثم درس الجماهرة فاستظهرها.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 37/120؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات النحويين، 139.

(4) - هو أبو بكر النحوي، قال في البلغة: إمام في اللغة، روى عن أبي عمرو السفاقي وغيره، وشرح المعلمات على الشعراء الجاهليين الستة، توفي سنة 494هـ.

ينظر: ابن بشكوال، م.س، 71-71؛ السيوطي، م.س، 24.

(5) - ينظر: محسن، عيسى خليل، أمراء الشعر الأندلسي، 250.

في نفس ابن عبدون محبة الشعر والميل إلى نظمه، وكان ابن ضابط متكسبًا بالشعر، ويُروى أنه

(ابن ضابط) ضجر يومًا فقال: (المجتث)

" الشعر خطُّه خَسْفٌ "

وكان ابن عبدون جالسًا بين يديه فكتب في لوحة يكمل المصراع الثاني من البيت:

" لكلِّ طالبٍ عَرَفٌ "

ثم زاد بيتًا آخر كتبه هو⁽¹⁾: (المجتث)

للشَّيخِ عَيْبَةٌ عَيْبٌ وللفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٌ⁽²⁾

وهذا يدلُّ على غزارة محفوظ ابن عبدون.

أمَّا ابن سراج فقد أخذ عنه ابن عبدون اللغة والنحو والأدب، وأفاد من أبي بكر عاصم البطليوسي، وكان نحوياً حافظاً لأشعار العرب، وقد ظهرت آثار هؤلاء العلماء على أشعار ابن عبدون ورسائله، وبخاصة قصيدته الرائية المشهورة، التي رثى فيها بني الأفتس، حيث تفيض بسيل كبير من المعارف التاريخية والفنون الأدبية⁽³⁾، ورسالته إلى الفتح بن خاقان⁽⁴⁾، إذ تظهر فيها معرفته الواسعة بالرجال والأشعار والأمثال والقصص، وهذه المعرفة الكبيرة لا يمكن أن تتاح إلا لمن تتلمذ على شيوخ العربية الأفاضل.

(1) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، 44/7؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 330/1.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 168.

(3) - ينظر: حزان، حبيب، الأدب الأندلسي من الاحتلال إلى الارتجال، 574.

(4) - ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 147-148.

رابعًا: آثاره

ذكر بعض الذين ترجموا لابن عبدون كالقاضي عياض وابن بشكوال والكتبي أنّ له كتاب في نصره أبي عبيدة، يقول القاضي عياض: " وسمعت عليه كثيرًا من كتابه في نصره أبي عبيدة في الشرح أو جميعه"⁽¹⁾، كما ذكر ابن بشكوال هذا الكتاب في الصلّة،⁽²⁾ وقد ذكر هذان المؤلفان الكتاب دون الإشارة إلى موضوعه، أمّا في الأدب فله ديوان شعر حققه سليم التتير، وضمّنه بعض رسائله النثرية.

خامسًا: شعره

طرق ابن عبدون أكثر الأغراض الشعريّة السائدة في عصره، لكنّه أكثر من المديح والرّثاء، فكان لهذين الغرضين نصيب الأسد من أشعاره، وبخاصّة مرثيته في بني الأفطس، ذائعة الصّيّة؛ لهذا سأقف بالدراسة عند هذين الغرضين.

1- المديح

وصلنا من شعر ابن عبدون في المدح أربع عشرة قصيدة ومقطّعة، أطولها تسعة وثلاثين بيتًا، وأقصرها بيتان، منها سبع مدحات في المتوكل بن الأفطس، وثلاث في المعتمد بن عبّاد، وواحدة في

(1) - القاضي عياض، الغنية، 171.

(2) - ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 388/2؛ ابن بشكوال، الصلّة، 369.

عبيد الله الرّشيد بن المعتمد، وأخرى في بني عبد العزيز، ومنهم الوزير أبو بكر محمد بن عبد العزيز⁽¹⁾، ومقطوعتان لم يذكر فيهما الممدوح.

كان مدح ابن عبدون متصلاً بحياته أشدّ اتّصال، إذ تجاوب مع مجده وعزّه، ومع إقبال الدنيا عليه، وتجاوب مع اضطرابه وأفول نجمه، وعلى ذلك يمكن تقسيم مدحه إلى قسمين: الأول يمثّل مرحلة العزّ والثّرّف والمجد والرّخاء من حياته، وذلك قبل مغادرته بطليوس، كمدائحه في المتوكل، كقوله فيه:

(الكامل)

وإفأك من فلق الصّباح تبسّم وانجاب من غسق الظّلام تجهّم
والليل ينعى بالأذان وقد شدا بالفجر طير البانة المترنّم
ودموع ظلّ الليل تخلق أعياناً يرنو بها من ماء دجلة أرقم⁽²⁾

والثّاني يمثّل مرحلة الحرمان والشكوى، كقوله في المعتمد بن عباد:

(البيسط)

لولا المؤيّد، مدّ الله مدّته ما كان في سوى بغداد من أرب
فلم أكن وسوى بغداد لي أملاً فيها كما كنت في أهلي بمقترب
وإن نبت حمص بي والله يعصمها ركبها عزيمة تشأى⁽³⁾ الكواكب بي⁽⁴⁾

فشعره كان متفاوتاً تبعاً لحالته النّفسيّة، فكان في المرحلة الأولى ينعم بالاستقرار والنفوذ، وكان في الثّانية يغصّ بالقلق وانعدام الأمن.

(1) – أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن المرجي، من أهل قرطبة، كان عاملاً باللغة والأنساب والأدب.

ينظر: ابن خاقان، فلاندة العقيان، 477/2؛ ابن دحية، المطرب، 208.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 178.

(3) – الشّأؤ الطّلق والشّؤط والشّأؤ الغايّة والأمد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شأى.

(4) – ابن عبدون، م.س، 114.

2- الرثاء

نظم ابن عبدون خمسا من القصائد والمقطعات في الرثاء، إحداها كانت في بني الأفطس وبخاصة المتوكل بن الأفطس، وولديه الفضل والعبّاس، الذين قتلهم اللمتونيون سنة 489هـ، وهي الرائيّة المشهورة، وقد جاءت في سبعة وسبعين بيتاً، أورد منها ابن خاقان في القلائد سبعة وستين بيتاً⁽¹⁾، بينما ذكر ابن بسام في الذخيرة سبعة وخمسين بيتاً فقط⁽²⁾، وذكر كل من المراكشي في المعجب وابن دحيّة في المطرب خمسة وسبعين بيتاً⁽³⁾، أمّا ابن بدرون فذكر منها في شرحه لها سبعة وستين بيتاً. ومنها قوله:

(البيسط)

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصَّوَرِ

أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لَا أَلَوْكَ مَوْعِظَةً عَنِ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ

فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالِمَةً وَالْبَيْضُ وَالسَّوَدُ مِثْلَ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ⁽⁴⁾

بدأ ابن عبدون رأيته بالحكمة، ثم مضى يذكر الدول والأسر والرجال الذين عدا عليهم الدهر، ويضرب بهم الأمثال⁽⁵⁾، إلى أن وصل إلى بني الأفطس، وتدلّ هذه القصيدة على إلمام ابن عبدون بأحداث التاريخ؛ وهذا ما دفع عدداً من العلماء إلى شرحها، وأكبر هذه الشروح وأكثرها انتشاراً هو

(1) - ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 123-131.

(2) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 721/4-724.

(3) - ينظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 62-68؛ ابن دحيّة، المطرب في أشعار أهل المغرب، 27-33.

(4) - ابن عبدون، الديوان، 139.

(5) - ينظر: ابن خاقان، م.س، 123؛ بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، 119؛ الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، 157.

شرح ابن بدرون، وترجمت إلى الفرنسية، وترجم بعضها إلى الإسبانية⁽¹⁾، وقد أعجب بها عدد من المؤرخين، وتقننوا في وصفها، يقول ابن دحية: " قصيدة فريدة متضمنة للتواريخ والحكم والآداب، ومما يعتبر بها أولو الألباب"⁽²⁾، وقال عنها المراكشي: "... قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء التي أزرّت على الشّعْر، وزادت على السّحر، وفعلت في الألباب فعل الخمر، فجلبت عن أن تسامى، وأنفت من أن تضاهى، فقلّ لها النّظير، وكثر إليها المشير"⁽³⁾. فمرثيته هذه طارت في الآفاق، وفاقّت في شهرتها قصائد كثيرة.

وثاني مرثيته هي قصيدته التي نظمها في الوزير الفقيه أبي مروان بن سراج، وصلنا منها ثمانية

عشر بيتاً، ومطلعها: (البسيط)

ما منك يا موت لا واقٍ ولا فادي الحكمُ حكمك في القاري وفي البادي⁽⁴⁾

والمرثية الثالثة في أخيه عبد العزيز، وهي من قصائد التّأبين، ومنها قوله: (الوافر)

رُويدك أيها الدهرُ الخوونُ ستأكلنا وإيّاك المنونُ

تعلّنا الأمانِي وهي زورٌ وتخدعنا الليالي وهي خونُ

– فُجعتُ بزاهرٍ من سرِّ فهِرٍ كبرِ التّمّ هالتُهُ عرينُ⁽⁵⁾

(1) – ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 123؛ بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، 119.

(2) – ينظر: ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، 27.

(3) – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 62.

(4) – ابن عبدون، الديوان، 127.

(5) – ابن عبدون، م.س، 186.

فأظهر حزنه وألمه الشديدين على فراق أخيه، إذ أصبح من بعده وحيداً في هذه الدنيا، هائماً على وجهه، والمرثية الرابعة في أبي محمد ابن خلدون⁽¹⁾ ذي الوزارتين⁽²⁾، نظمها بعد استشهاده، ومنها:

(الطويل)

مَلَكْتَ فَاسْجِحْ⁽³⁾ لَا أَبَا لَكَ يَا دَهْرُ أَفِي كُلِّ عَامٍ فِي الْعُلَا فَتَكَّةٌ بِكُرُ

رَثْتُهُ فَقُنَّا إِنَّهَا لَتَمَاضِر وَإِنَّ ابْنَ خُلْدُونَ لَمَفْقُودُهَا صَخْرُ⁽⁴⁾

فأظهر عظمة المصيبة التي ألمت به وبالناس بعد فراقه. والقصيدة الأخيرة في أبي المطرف ابن الدبّاغ⁽⁵⁾، ولم يصل منها إلينا سوى بيتين هما:

(البيسط)

ثَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ مَكَامِنِهَا سَرًّا عَلَى غَفْلَةِ الْحَرَّاسِ وَالسَّمْرِ

أَوْلَى لِهِنَّ وَأَوْلَى لَوْ هَمَمَنْ بِهِ وَالْمَنْعُ نُو رَاحَةٍ وَالِدَفْعُ نُو حَذْرِ⁽⁶⁾

فابن عبدون يشير إلى أنّ المنايا أهدقت بابن المطرف، واستلبته سرّاً وغدرًا.

يمكن لمن يدرس شعر ابن عبدون في الرثاء أن يلاحظ ما فيه من الحكمة، فقد نبّه إلى أنّ الحياة

متقلبة، وأكدّ على ذلك بما ضرب من أمثال الأمم السابقة التي أهلكتها الله سبحانه وتعالى.

(1) – ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 539/3.

(2) – من وزراء المعتمد، وهو من الشعراء المجيدين.

ينظر: المقري، نفح الطيب 242/3

(3) – السجح هو حسن العفو، وأصله السهولة والرفق.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجح.

(4) – ابن عبدون، الديوان، 137.

(5) – أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر، ويعرف بابن الدبّاغ، عاصر المقتدر بن هود، لكنه جفاه فاتجه إلى الدولة العبادية، ثم إلى بني المظفر في بطليوس، ثم إلى سرقسطة حيث قتل.

ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 314/1؛ ابن بسام، م.س، القسم الثالث، 251/5.

(6) – ابن عبدون، م.س، 160.

سادسًا: وفاته

لم أعثّر في المصادر التي ترجمت لابن عبدون تاريخًا محددًا لوفاته، فقد جعلها ابن بشكوال سنة 527هـ⁽¹⁾، وكذلك القاضي عياض في الغنية⁽²⁾، وذكر الكتبي أنّ وفاته كانت في سنة خمسمائة وعشرين هجرية⁽³⁾، وجعلها حاجي خليفة في سنة 529هـ⁽⁴⁾. فابن بشكوال والقاضي عياض والكتبي وحاجي خليفة يرون أنّ وفاته كانت بعد سنة خمسمائة وعشرين، وقد رجّح سليم التتير محقق الديوان أنّ وفاته كانت نحو سنة 527هـ معتمداً على بعض الأحداث التاريخية، ويرى أن من يقول بوفاة ابن عبدون قبل سنة 520هـ بأنهم واهمون، أو أنّهم يعنون شخصاً آخر⁽⁵⁾.

نستخلص مما سبق أنّ حياة ابن عبدون كانت مليئة بالأحداث الجسيمة، والتي أثّرت بشكل كبير في حياته وثقافته وأدبه.

(1) - ابن بشكوال، الصلة، 3/ 388.

(2) - القاضي عياض، الغنية، 71.

(3) - الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 388.

(4) - خليفة، حاجي، كشف الظنون، 5/ 619.

(5) - التتير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 44.

الفصل الثّاني

توظيف الموروث الدّلالي في أدب ابن عبدون

المبحث الأول: مفهوم التّراث لغة واصطلاحًا وأهميته

1- مفهوم التّراث لغةً

2- مفهوم التّراث اصطلاحًا

3- أهميّة التّراث

المبحث الثاني: توظيف الموروث الديني في شعر ابن عبدون

أولاً: توظيف القرآن الكريم

ثانياً: توظيف الحديث الشّريف

ثالثاً: تأثره بالمفاهيم الدّينيّة ومصطلحات الفقهاء

المبحث الثالث: توظيف الموروث التّاريخي في شعر ابن عبدون

أولاً: توظيف القبائل والشخصيّات التّاريخيّة

ثانياً: توظيف الأحداث التّاريخيّة

المبحث الرابع: توظيف الموروث الأدبي في شعر ابن عبدون

أولاً: توظيف الموروث الشّعري

1- المدح

2- الفخر

3- الغزل

4- الرثاء

5- الوصايا والحكم في شعر ابن عبدون

6- الأغراض الشعرية الأخرى

ثانياً: توظيف الشخصيات الأدبية

ثالثاً: توظيف الموروث النثري في شعر ابن عبدون

رابعاً: توظيف الموروث اللغوي في شعر ابن عبدون

المبحث الخامس: توظيف الموروث في نثر ابن عبدون

أولاً: توظيف الموروث الديني

1- القرآن الكريم

2- توظيف الحديث الشريف

3- توظيف التوراة

ثانياً: توظيف الموروث التاريخي

ثالثاً: توظيف الموروث الأدبي

رابعاً: توظيف الموروث الأسطوري

خامساً: الوصايا والحكم

سادساً: الأمثال

الفصل الثاني

توظيف الموروث الدلالي في أدب ابن عبدون

المبحث الأول: مفهوم التراث لغة واصطلاحاً وأهميته

1- مفهوم التراث لغة

التراث هو كل ما يتركه الإنسان، يُقال: ورث الشيء ورثاً وريثةً ووراثته وإراثته، ووارث الميت ماله تركه له، والورث والورث والإراث والوراث والإراث والتراث بمعنى واحد، فالتراث ما ورث أي ما يخلفه الميت لورثته⁽¹⁾. وقد وردت الكلمة وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بهذا المعنى، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الْإِثْمُ﴾،⁽²⁾ وقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ

الْأَنْثَرِثَ أَكْلًا لَمَّا﴾⁽³⁾، والمعنى في الآيتين هو ما تركه المتوفى.

2- مفهوم التراث اصطلاحاً

مصطلح التراث مصطلح عميق واسع متشابك من سلوكيات الأمة وحضارتها الخالدة،⁽⁴⁾ فالتراث هو كل ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية وفكرية وعادات وتقاليد وقيم وممارسات مما يعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر وروحه، كالكتب ومقتنيات المتاحف والمكتبات مما يعتبر جزءاً من

(1) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ورث، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة ورث.

(2) - النساء، 11/3.

(3) - الفجر، 19/89.

(4) - ينظر: خورشيد، فاروق، الموروث الشعبي، 12.

حضارة الإنسان⁽¹⁾، وهو كلّ ما وصل إلينا من الحضارات الماضية⁽²⁾، ويشمل المطبوع والمخطوط، وهو تعبير عن حياة الأمم، وهو جزء من المكونات النفسية لها، يؤثر في عقول الناس، وفي حاضرهم ومستقبلهم⁽³⁾، ويعود هذا إلى مصادر رئيسة هي الدين والتاريخ والأدب والفلكور الشعبي والأساطير، وهي متشابكة متداخلة⁽⁴⁾، وذاكرة الإنسان إنما هي وعاء يملأه بقيم التراث المتنوعة، والتجارب والمشاهدات والصّور، فليس لأيّ شاعر غنى عما قاله من تقدّمه⁽⁵⁾.

وتوظيف التراث في الأدب يسير في اتجاهين: الأول هو الظاهر الذي لا يخفى على القارئ البسيط، وهذا يدلّ على عجز الشاعر وضعفه، واتكاله على من سبقه، والثاني عميق خفيّ يحتاج إلى البحث والتّحقيق، ولا بدّ للقارئ أن يكون على دراية وعلم بالنصوص السابقة شعراً ونثراً⁽⁶⁾. وهو شكّل من أشكال الاقتباس والتّضمين التقليديين، وقد يتضمّن إشارة أو إحالة أو تلميحاً إلى النّص الذي يوظفه الشاعر فيعيد صياغته⁽⁷⁾.

3- أهمية التراث

التراث العربيّ ليس كتراث أيّة أمة- كما يظنّ البعض ممن يرفضون الرّجوع إليه في بناء حضارة عربيّة جديدة - مجرد بضاعة من الماضي ورواسبه يجب أن تظلّ من الماضي، ولا يجوز التّعرض

(1) - ينظر: وهبة، مجدي وزميله، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، 93؛ خورشيد، فاروق، الموروث الشعبي، 23.

(2) - ينظر: حفني، حسن، التراث والتجديد، 11.

(3) - ينظر: حفني، حسن، م.ن، 14-16.

(4) - ينظر: زايد، عليّ عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، 73.

(5) - ينظر: السعدني، مصطفى، التناص الشعري، 67، 79.

(6) - ينظر: السعدني، مصطفى، م.ن، 19، 96؛ واصل، عصام، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، 76، 95.

(7) - ينظر: واصل، عصام، م.س، 75.

له إلا في الدراسات، بل هو روح الأمة وماضيها وحاضرها ومستقبلها؛ لأنه لا يبنى بالتخلص من القديم، بل يتطور منه لإنتاج ما يسمى بالحدائثة، وليس هناك حدائثة إنسانية مطلقة⁽¹⁾، وعليه فالحاجة لدراسة التراث ضرورة لا بدّ منها لبناء حضارة حديثة، وتتمثل أهمية التراث فيما يأتي:

أ - إن تراث أيّة أمة هو ثقافتها التي تراكمت منذ نشأتها، وتلقاها الأجيال عمّن سبقها، فتستتير به في بناء حاضر الأمة ومستقبلها⁽²⁾.

ب- يدلّ التراث على ما هو مشترك بين العرب؛ وهو التركة الروحية والفكرية التي تجمعهم⁽³⁾، هو "اللغة والأفكار والعادات والتقاليد والأذواق والآداب والعلوم والفنون والعلاقات الاجتماعية والمواقف النفسية والرؤى الذهنية للكون والعالم والحياة"⁽⁴⁾.

ج- يعدّ التراث من أهم المصادر التي استلهمها الشعراء والأدباء والفنانون والكتاب،⁽⁵⁾ فهو ركن رئيس في بناء أدب الأمة.

د- التراث - ومنه الشعر - مرآة الأمة في كلّ عصر؛ لأنه يتضمّن العادات والتقاليد والفكر والعقيدة والشعائر والعلوم والمخاوف، وهو عقله الباطن، وهو الصورة الحية عنه بكل مكوناته⁽⁶⁾.

وعلى ذلك فتجديد التراث ضرورة لا بدّ منها، ويكون هذا بإحياء علوم الدين واللغة والعلوم الاجتماعية والعقلية والطبيعية وشتى أنواع العلوم، والأدب، فالأدب هو الصورة الفنية الحية للغة،

(1) - ينظر: الجابري، محمد، التراث والحدائثة دراسات ومناقشات، 15.

(2) - ينظر: حداد، منعم، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، 9، 76؛ عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 8.

(3) - ينظر: الجابري، محمد، م.س، 24.

(4) - النفيسي، عبد الله، التراث وتحديات العصر، 16.

(5) - ينظر: حداد، منعم، م.س، 76؛ عبد السلام، وسام، م.س، 8.

(6) - ينظر: عبد السلام، وسام، م.ن، في شعر الأعشى، 9.

ولذلك شدّد عبد الله النقيسي على ضرورة العناية باللغة؛ إذ قد حرص الاستعمار على محاربة الفصحى لما بينها وبين الإسلام من علاقة وطيدة⁽¹⁾، والتراث جزء من كيان الأمة، وأسلوب حياتها، في عملها، وفراغها ولهوها، وطعامها، ومسكنها، وطقوسها، وعلاقاتها الاجتماعية، وشتى نواحي حياتها.⁽²⁾ فلا سبيل للانفكاك عن التراث، فالارتباط به حقيقة كائنة لا مرأى فيها، وكثرة الدراسات التي تتناول التراث لفهمه وتقويمه تدلّ على هذا الارتباط⁽³⁾.

المبحث الثاني: توظيف الموروث الديني في شعر ابن عبدون

ظهر الموروث الديني الإنساني والعربي في شعر ابن عبدون ونثره بشكلٍ واضح، فقد تأثر في أدبه بالإسلام، والمسيحية والديانة اليهودية، وأشدّ هذا التأثير وأبرزه كان بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وأحياناً قليلة بالتوراة، وبفكرة الصليب في المسيحية.

أولاً: توظيف القرآن الكريم

لا شك أنّ الموروث الديني هو أهم مصادر الموروث في الشعر؛ لأنّه يمنح النصّ صفة القدسية والديمومة والبقاء، ويزيد من قوّة التأثير في القارئ، ويوسّع دائرة الإحياءات في المعنى والعاطفة،

(1) - ينظر: النقيسي، عبد الله، التراث وتحديات العصر، 15.

(2) - ينظر: حداد، منعم، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، 11.

(3) - ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، 19.

وبخاصة القرآن الكريم؛ لما فيه من إبداع في شكله ومضمونه، يعجز عنه الشعراء⁽¹⁾. وتوظيف القرآن الكريم تفاعلاً مع نصوصه في الشكل والتراكيب والمضامين، وله قيم خاصة تختلف عن أشكال التوظيف الأخرى؛ لأن له طريقته المغايرة لطرق الكتابة عند الشعراء والكتّاب⁽²⁾.

انتسعت مظاهر تأثر ابن عبدون بالقرآن الكريم كثيراً، فهي الدائرة الأوسع من بين دوائر التراث

التي تأثر بها، ومن ذلك قوله في مدح الرّشيد عبيد الله بن المعتمد⁽³⁾:

(الوافر)

إِلَيْكَ أبا الحُسَيْنِ رَكِبْتُ عَزْمًا يَضِيقُ بِرَحْبِ مَسْعَاهُ الطَّلَابُ

رَمَتْ فِي البَحْرِ مِنْكَ وَلَمْ تَعْرَجْ عَلَى أَرْضٍ بَقِيعَتُهَا سَرَابٌ⁽⁴⁾

ففي البيت الأول يظهر تأثره بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا

رَحُبَّتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾⁽⁵⁾، إذ رأى المسلمون الأرض - على سعتها - ضيقة يوم حنين؛

لكثرة الجنود وضيق المكان ففرّوا ، وكذلك الحال بالنسبة للشاعر، وهو يريد أن يصوّر قوة عزمه وإرادته في السعي إلى الممدوح وإصراره عليه، على نحو لا يستطيعه غيره، وفي البيت الثاني أراد الشاعر وصف الأرض بأنها مقفرة، فالقبيعة هي الأرض الصلبة الواسعة السهلة المطمئنة المستوية،

(1) - ينظر: جبريل، خميس، التناص في شعر يوسف الخطيب، 25؛ واصل، عصام، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، 77.

(2) - ينظر: واصل، عصام، م.ن، 77.

(3) - أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عباد، أكبر أولاد المعتمد، كان رقيق الطبع، درس شيئاً من العلوم الرياضية، وكان يضرب على العود، وله أدب وشعر، جعله المعتمد ولي عهده، وولاه القضاء في إشبيلية، توفي نحو 530هـ.

ينظر: ابن الأبار، الحلة السّيراء، 68/3؛ الزركلي، الأعلام، 334/1.

(4) - ابن عبدون، الديوان، 107.

(5) - التوبة، 25/9.

وليس فيها حصى ولا حجارة ولا تثبت الشجر،⁽¹⁾ ، وقد تأثر الشاعر في هذا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

﴿(2)، إذ صور الله، سبحانه وتعالى، أعمال الكافرين بالسراب، وقد أخذ ابن عبدون هذه الصورة

فوظفها في قصيدته، فوصف الرّشيد بالبحر في الكرم، ونفى عنه أن يكون أرضاً مقفرة لا نبات فيها.

ومن تأثره بالقرآن الكريم كذلك قوله يفتخر بنفسه في قصيدة يمدح المعتمد بن عباد⁽³⁾: (البيسط)

يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الْجُونِ يَتَّبِعُ مِنْ لَحْمِ أَبَارِيقَ تَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ⁽⁴⁾

فهو متأثر بقوله تعالى في وصف الجبال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ

السَّحَابِ﴾⁽⁵⁾، فالآية في وصف بعض أهوال يوم القيامة، فالناظر إلى الجبال يراها ثابتة لكنها

تسير كالسحاب، أي أنها تتحرك وتتبدل من مكانها⁽⁶⁾، والشاعر يصف صيت الممدوح وذكره، فقد

طار اسمه واشتهر، وانطلق اسمه متنقلاً في الآفاق كسير السحاب في السماء.

(1) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قوع.

(2) - النور، 39/24.

(3) - المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة؛ صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 21/5؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 54/37.

(4) - ابن عبدون، الديوان، 113.

(5) - النمل، 88/27.

(6) - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 217/6.

ومن الموروث الديني قول ابن عبدون يرثي الأديب الفقيه أبا مروان بن سراج⁽¹⁾: (البيسط)

ما منك يا موت لا واقٍ ولا فادي⁽²⁾ الحكم حُكْمُكَ في القاري وفي البادي

قدّم أناسًا وأخّر آخرين فلا عليك يا مؤردَ الحادي على الهادي

يا نائمَ الفكرِ في ليلِ الشَّبَابِ أفقٍ فصبحُ شيبِكَ في أفقِ النهى بادي

سَلْنِي عن الدَّهرِ تسألُ غيرَ إمعةٍ فألقِ سمعَكَ واستجمعِ لإيرادي⁽³⁾

فتأثره بالعقيدة الإسلامية المتعلقة بالموت واضح جليّ، فهو يقرّ في البيت الأول أن لا مفرّ من الموت ولا حامي منه، وفي البيت الثاني يقرّ بأن لكل أجل كتاب، ثم يحذر الغافل ويعظه وينصحه بضرورة اليقظة من الغفلة. وهو ينقل لنا هذه المعاني من الآيات الكريمة، فالبيت الأول من قوله تعالى: ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾،⁽⁴⁾ وقوله تعالى:

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾،⁽⁵⁾ والبيت الثالث من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁽⁶⁾، مؤكداً على المعنى في الذي أشار إليه

(1) - أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج مولى بني أمية، وزير، أديب، من بيت علم

ووقار في قرطبة، كان متقدماً في علوم الدين والأدب واللغة، وأنه أحياناً كتباً كثيرة، توفي سنة 489 هـ .

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 37/ 120؛ الزركلي، الأعلام، 4/ 159.

(2) - هكذا وردت في الديوان بإثبات الياء.

(3) - ابن عبدون، الديوان، 127.

(4) - النساء، 4/ 78.

(5) - الرعد، 13/ 38.

(6) - الأعراف، 7/ 34.

في البيت الثاني، ويتأثر في البيت الرابع بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ

قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾، فأشار في هذه القصيدة إلى مصير الإنسان، ثم ذكر

القارئ بالموت، ويبيّن أنّ الذي ينتفع بهذه النصائح هو صاحب العقل السليم، فطلب من المتلقي أن ينتبه ويتفكر في قوله.

ومن تأثره بالمفاهيم الدنيوية قوله في قصيدة يرثي فيها المتوكل بن الأقطس⁽²⁾: (البيسط)

فلا تغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر

ما لليالي، أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يدُ الغير⁽³⁾

فيذكر بالحقيقة الدنيوية وهي أنّ الدنيا غرور، وهو في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ

الْغُرُورُ﴾⁽⁴⁾، وغيرها من الآيات التي تحذر من الاغترار بمتاع الحياة الدنيا، وتدعو إلى الانصراف

إلى الآخرة، ولذلك، فهو في البيت الثاني، يدعو الله سبحانه وتعالى حين توالي عليه المصائب أن يقل عثرته.

(1) - ق، 37/50.

(2) - المتوكل بن الأقطس (ت 489 هـ)، عمر بن محمد آخر ملوك بني الأقطس أصحاب "بطليوس" في الأندلس، مات أبوه (سنة 460 هـ) وهو عامل له في يابرة فاستقل بها وبما حولها.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/ 596-597؛ الزركلي، الأعلام، 60/5.

(3) - ابن عبدون، الديوان، 139-140.

(4) - فاطر، 5/45.

ومن تأثره بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي في وصف الدنيا قوله في رثاء أخيه
عبد العزيز:
(الوافر)

رُؤَيْدِكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ الخُوُونُ ستَأْكُلُنَا وإِيَّاكَ المُنُونُ
تُعَلِّنَا الأَمَانِي وَهِيَ رُؤُورٌ وتَخْدَعُنَا اللِيَالِي وَهِيَ خُونٌ⁽¹⁾

إذ يظهر في هذا النص تحذيره من تقلب الزمن والأيام، واغترار الإنسان بملذاتها وانشغاله بها، فهي
تأخذه على غرّة، وهو في ذلك متأثر بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾،⁽²⁾ وهو في

البيت الثاني متأثر بقوله تعالى: ﴿وَعَرَّتْكُمْ الأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ

الْغُرُورُ﴾.⁽³⁾ ومن ذلك أيضاً قول
(البيسط)

ومَزَّقَتْ سَبَاباً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ فَمَا التَّقَى رَاحُ مِنْهُمْ بِمَبْتَكِرٍ⁽⁴⁾

فهو ينقل لنا من القرآن الكريم قصة مملكة سبأ اليمنية المشهورة، إذ بادت هذه المملكة ولم يبق منها
إلا ما درس من آثار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ^ط جَنَّتَانِ عَن

يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ^ع بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ

(1) - ابن عبدون، الديوان، 186.

(2) - القصص، 88 / 28 .

(3) - الحديد، 14 / 57 .

(4) - ابن عبدون، م.س، 141.

مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١﴾، فالشاعر يستنكر إهلاك القوم ليعتبر الناس به، فقد ذكر الشاعر في هذه

القصيدة عددًا من الأمم السابقة التي أهلكها الله سبحانه.

ومن تأثره بالقرآن الكريم في شعره قوله: (صدره من البسيط وعجزه من الرجز)

فَأَنْتَ يَا وَدَّ الْفَخَّارِ أَنْتَ كَمَا تَدْعَى وَلَا تُسَبِّقُ الرَّاءَ الْأَلْفَ⁽²⁾

فهو متأثر بالآيات التي تذكر أنّ الإنسان خلق من تراب أو صلصال، ومنها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁽³⁾، فالشاعر يذكر بالحقيقة التي قررها القرآن الكريم، وهي

خلق الإنسان من طين، وهو إنّما يعظ الإنسان حين يذكره بهذه الحقيقة، ويدعوه إلى التواضع، ثم

يؤكد على ذلك عن طريق الصنعة اللغوية، بالراء لا تسبق الألف، فلا يحق لهذا المخلوق من الطين

أن يتفاخر، إذ تصبح كلمة الفخار (الفخر) إذا تقدمت الراء على الألف.

ومن تأثره بالقرآن الكريم كذلك قوله في المتوكل بن الأفضس: (الخفيف)

دَوْحَةٌ فَرُعُهَا عَلَى الشُّهْبِ مَوْضِعٌ وَأَصْلٌ قَدْ غَاصَ تَحْتَ النُّجُومِ

شُهُبٌ زَيَّتْ سَمَاءَ الْمَعَالِي وَحَمَّتْهَا مِنْ بَيضِهِ بِرُجُومِ⁽⁴⁾

(1) - سبأ، 34/15-16.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 164، ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، 119. هكذا ورد في الديوان وفي المقتضب، صدره من البسيط وعجزه من الرجز، وقد أشار محقق الديوان إلى ذلك، وذهب إلى أنه ربما سقط منه شيء، ولعل الصواب أنه (تُسَبِّقَنَّ الراء بالألف) بنون التوكيد الثقيلة، فبذلك يستقيم الوزن على البحر البسيط، وسوف أتحدث عنه في الموروث الموسيقي.

(3) - الرحمن، 14/55.

(4) - ابن عبدون، م.س، 182.

فصور المتوكّل في البيت الأول بالشجر ذي الأصول الثابتة الراسخة، والفروع العالية التي تلامس الشّهب، أي أنّ المتوكّل كريم الأصل والنّسب، وهو من قوله تعالى في وصف الكلام الطيّب: ﴿أَلَمْ

تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

السَّمَاءِ﴾⁽¹⁾، وفي البيت الثاني صور أعمال المتوكّل بالشّهب التي تزيّن سماء المجد الذي ابتناه

لنفسه، وهي من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا

لِلشَّيْطَانِ﴾⁽²⁾، في وصف واحدة من الآيات الكونيّة هي إنقار بناء السماء الدّنيا وتزيينها بالنّجوم.

وبهذا يتبيّن تأثر ابن عبدون الشّديد بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه.

ثانياً: توظيف الحديث الشّريف

تأثر الشّاعر بالحديث الشّريف في شعره في مواضع عدة منها قوله في المديح: (الوافر)

دَعْتِكَ وَمَنْ سَجِيَّتِكَ الْبِدَاؤُ رُؤُوسٌ أَيْنَعَتْ مِنْهَا ثِمَارُ

فَيُورِدُهَا ظِمَاءً وَهِيَ مَاءٌ وَيُصْدِرُهَا رِوَاءً وَهِيَ نَارُ⁽³⁾

يصف ابن عبدون الممدوح بالبأس والشّدّة والسّطوة، وقد اتكأ في هذه الصّورة على قول الرّسول ﷺ:

(1) - إبراهيم، 24/14.

(2) - الملك، 5/67.

(3) - ابن عبدون، الديوان، 135.

إِلَوْ أَنْكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرِزْقُكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا⁽¹⁾، في وصف حقيقة التَّوَكُّلِ، وهو أن يكون المؤمن كالطير في توكلها؛ تخرج من أعشاشها جائعاً، وتعود وقد أعطاه الله حاجتها.

ومن تأثره بالحديث الشريف قوله شاكياً زمانه وملوك عصره:

(الوافر)

عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ نَفْسِي وَنَفْسِي لِأَوْضِحَ غُبْنِهِمْ عِنْدَ الْبَيْعِ

فَمَا اتَّبَعُوا دَلِيلًا فِي اجْتِنَابِي وَلَا سَلَكُوا سَبِيلًا فِي اصْطِنَاعِي⁽²⁾

فقد تأثر ابن عبدون في بيته هذا بما ورد في سيرة الرسول ﷺ، وهو أنه كان يعرض نفسه في بداية الدعوة على القبائل لنصرته، فقد ورد في الحديث الشريف: [كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه بالموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي]⁽³⁾، والشاعر يعرض نفسه على الملوك لمساعدته وتقديم العطايا والعون له، لكنهم يعرضون

عنه، كما أعرض الناس عن الرسول ﷺ في بداية الدعوة.

ومن تأثره بالحديث الشريف أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

وَيُمْنَى لَا تَجُودُ عَلَى شِمَالٍ وَلَا تُصْفِي الْمَوَدَّةَ لِلذَّرَاعِ

فيصف هؤلاء الملوك والأمراء بأنهم ليسوا من أهل الجود والمودة، فلا تجد شمائلهم الخير من أيمانهم، وهو من قوله ﷺ: [ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُهُ ما تُنفقُ يمينُهُ]⁽⁴⁾،

(1) – ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، 4/ 473، رقم الحديث 2344.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 162.

(3) – ينظر: الترمذي، م.س، 5/ 184، رقم الحديث 2925.

(4) – ينظر: البخاري، صحيح البخاري، 2/ 517، رقم الحديث 1357.

والحديث في ذكر من يظلم الله بظلمه يوم القيامة، ومنهم رجلٌ أنفق الصدقة فأخفاها فلا يعلم بعمله إلا الله سبحانه، كأنَّ العلاقة بين يمينه وشماله منقطعة، وكذلك فعل ابن عبدون في وصف أمراء عصره، فالعلاقة بينهم وبين العامة مقطوعة، فلا يقدمون معروفًا لأحدٍ من الرعيّة.

ومن قصائده التي تأثّر فيها بالحديث الشّريف كذلك قصيدته التي رثا فيها المتوكّل بن الأفضس،

وولديه الفضل والعباس بعد قتلها على أيدي المرابطين، والتي يقول فيها: (البيسط)

وَأَجْرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ وَأَمَكَنْتُ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتِي شَمْرٍ (1)

فيذكر قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم، وهو من الحديث الشّريف الذي رواه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: [إِنَّكَ سَتَضْرِبُ ضَرْبَةً ههنا وضربةً ههنا وأشار إلى صدغيه فيسيلُ دمها حتى يخضبَ لحيتكَ ويكون صاحبُها أشقاها كما كان عاقِرُ النَّاقَةِ أَشْقَى ثمود]، (2) فقد بيّن الرسول ﷺ لعليّ رضي الله عنه الكيفيّة التي سيقتل بها، وسمّى قاتله (أشقاها)، أي أشقى البريّة، تشبيهاً له بقاتل ناقة النبيّ صالح عليه الصلّاة والسّلام.

ومن تأثّره بالحديث الشّريف كذلك قوله في مدح الرّشيد عبيد الله بن المعتمد (3): (الوافر)

كَأَنَّ عُدَاهُ فِي الْهَيْجَا ذُنُوبٌ وَصَارُمُهُ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ (4)

فكرة الدّعاء المستجاب في البيت الأوّل مستوحاةً من العقيدة الإسلاميّة، فالدّعاء المستجاب له مواقيت محددة، أو مواقف محددة، كوقت السّحور، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: [يَا أَبَا الْحَسَنِ أَفْلا

(1) - ابن عبدون، الديوان، 142-143.

(2) - ينظر: البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، 58/8، رقم الحديث 15848.

(3) - أبو الحسن، عبيد الله بن محمد بن عباد، أكبر أولاد المعتمد، كان رقيق الطبع، درس شيئاً من العلوم الرياضيّة، وكان يضرب على العود، وله أدب وشعر، جعله المعتمد ولي عهده، وولاه القضاء في إشبيلية، توفي نحو 530هـ.

ينظر: ابن الأثير، الحلة السّرياء، 68/3؛ الزركلي، الأعلام، 334/1.

(4) - ابن عبدون، م.س، 107.

أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، وَيَثْبِتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ؟ قَالَ أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَّمَنِي، قَالَ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ، وَالِدَّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ⁽¹⁾، وَكَذَلِكَ مَحَارِبَةُ الْمَعَاصِي وَالْقَضَاءُ عَلَيْهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فَالْأَعْدَاءُ ذُنُوبٌ وَالْمَمْدُوحُ يَعْمَلُ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا.

ثالثاً: تأثره بالمفاهيم الدينية ومصطلحات الفقهاء

تأثر ابن عبدون بالمفاهيم الدينية المستنبطة من علوم الدين، وبمصطلحات الفقهاء المستمدة من العلوم الدينية، ومن هذا التأثير خاتمته لبعض قصائده، كذلك التي رثى بها المتوكل بن الأقطس، وفيها يقول:

(البسيط)

ثَمِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضِرِّ

وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثَمِ التَّابِعِينَ لَهُ مَا هَبَّ رِيحٌ وَهَلَّ السُّحْبُ بِالْمَطَرِ⁽²⁾

فقد أنهى القصيدة بالصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين له، ما هبت الريح ونزل المطر، فعادة الخطباء والكتّاب ابتداء كتبهم وخطبهم وإنهاؤها بمثل هذا، ومن ذلك قول الزمخشري في خاتمة كتاب المستقصى في أمثال العرب، وهو آخر ما جاء من الكتاب: "فالحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبيه وآله وأصحابه ظاهراً وباطناً"⁽³⁾.

(1) - ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، 5/ 563، رقم الحديث 3570.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 152.

(3) - الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 417/2.

كما تأثر بمصطلحات الفقهاء والمفاهيم الدينية الفقهية المستنبطة من أقوال الرسول ﷺ، ومن

ذلك قوله طالباً التقرب من الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر⁽¹⁾: (الطويل)

خَطَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَوَاهُ عَقِيلَةً وَأَعْطَيْتُ مَنْ شُكْرِي وَأَعْلَى بِهِ مَهْرًا
فَأَطْرَقَ لَمْ يَنْبَسْ بِحَرْفٍ وَلَمْ يُعِدْ إِلَيَّ جَوَابًا مِنْهُ نَظْمًا وَلَا نَثْرًا
وَمَا الصَّمْتُ فِي هَذَا الْمَكَانِ لِسُنَّةٍ فَإِنِّي لَمْ أَخْطُبْ مَوَدَّتَهُ بِكَرًّا⁽²⁾

فهو متأثر بالحديث الشريف: [لا تُنكح الأيم حتى تستأمر ولا تُنكح البكر حتى تستأذن]،⁽³⁾ ومعنى

الحديث أنّ المرأة المخطوبة غير البكر لا تزوج إلا إذا أظهرت موافقتها على الزوج صراحةً، وأما المخطوبة البكر فتكفي الإشارة إلى موافقتها ولا ضرورة لتصريحها بذلك؛ إذ قد تخجل من التصريح فتصمت، والشاعر يصور طلب مودة الوزير أبي العلاء بخطبة الفتاة، ثم لما لم يجب الوزير صور صمته هذا بصمت المرأة المخطوبة البكر.

يتبين مما سبق سعة اطلاع ابن عبدون على علوم الدين الإسلامي، وقدرته على توظيف النصوص القرآنية، ونصوص الحديث الشريف، وعلوم الدين المختلفة في أدبه للتعبير عن مضامينه ومشاعره.

(1) - أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي؛ كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء، وكان بمكان من اللغة مكين، كان يحفظ شعر ذي الرمة، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال، توفي سنة 525هـ.

ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني 218/3؛ الزركلي، الأعلام، 50/3.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 132.

(3) - ينظر: البخاري، صحيح البخاري، 5/1974، رقم الحديث 4843.

المبحث الثالث: توظيف الموروث التاريخي في شعر ابن عبدون

يوظف الشاعر الموروث التاريخي لعدة عوامل نفسية وفكرية وفنية، أو اجتماعية وسياسية وقومية، مما يكسب تجربته الشعرية غنى وأصاله، ويجعلها أكثر شمولية⁽¹⁾، فالتاريخ يعدُّ من أهم المصادر التراثية التي يلجأ إليها الشاعر، وهي ليست مجرد أحداث أو شخوص عابرة، بل لها دلالات متجددة باقية، يوظفها الشاعر في التعبير عن تجربته الشعرية، والتاريخ الإسلامي غني بالأحداث والشخصيات التي تثير الشعراء⁽²⁾، والشاعر قد يستدعي الشخصية نفسها، أو صفة من صفاتها، أو عملاً من أعمالها، أو حادثة ترتبط بها،⁽³⁾ فيحوّر ما استدعاه منها بما يخدم نصّه الشعري أو النثري. وقد وظّف ابن عبدون الكثير من أحداث التاريخ العظيمة، والشخصيات التي صنعت هذه الأحداث، والقبائل العربية الكبيرة، وغير ذلك في شعره ونثره، وقد أظهر مقدرةً فنيةً كبيرة في توظيفها للتعبير عن أفكاره ومشاعره.

أولاً: توظيف القبائل والشخصيات التاريخية

شاعت عند الشعراء ظاهرة توظيف الشخصيات التاريخية التراثية، منذ العصور الأولى للأدب العربي، بل لقد كان التراث هو "الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة

(1) - ينظر: زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، 17.

(2) - ينظر: جبريل، خميس، التناص في شعر يوسف الخطيب، 47، 54.

(3) - ينظر: زايد، علي عشري، م.س، 194-195؛ واصل، عصام، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، 154.

التي يقف عليها ليبنى فوقها حاضره الشعريّ الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها⁽¹⁾، في كلّ أحواله،
فرحًا وحرزًا وشوقًا وألمًا.

إنّ توظيف الشخصية التراثية يعني أنّها وسيلة من وسائل التعبير والإيحاء عند الشاعر،
فالشاعر يحملها بعض أبعاد تجربته الشعرية⁽²⁾، وهذا النوع من التوظيف له خاصية تميّزه عن أشكال
التوظيف التاريخي الأخرى؛ لأنّ كلّ شخصية ترتبط بقصة أو أسطورة أو بطل، كما ترتبط بزمان
ومكان معينين، ولا يمكن للقارئ أن يدرك المعاني التي يرمي إليها الشاعر ما لم يكن على دراية بهذه
الشخصية⁽³⁾، ولا يمكن للقارئ أن يتأكد أنّ الشخصية المذكورة هي الشخصية التاريخية المعروفة إلا
من خلال السياق؛ إذ يصاحب ذكر الشخصية بعض الأحداث التي تشير إليها وترتبط بها دون
سواها⁽⁴⁾، وقد وظّف ابن عبدون بعض الشخصيات التاريخية مرتبطة ببعض الأحداث المهمة في

تاريخ العرب في شعره، ومن ذلك قوله شاكياً:

(الوافر)

إِذَا الْكَرْمَاءُ نَامَتْ فَوْقَ ضَيْمٍ فَمَا فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ

فَقَبْلَ أَبِي الدَّنِيَّةِ قَيْسُ عَبْسٍ وَلَمْ يُصْغِي⁽⁵⁾ إِلَى قَوْلِ الْمُشِيرِ⁽⁶⁾

(1) - زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، 7.

(2) - ينظر: زايد، علي عشري، م.ن 13.

(3) - ينظر: مجاهد، أحمد، أشكال التناص الشعري، 23.

(4) - ينظر: مجاهد، أحمد م.س، 15.

(5) - هكذا وردت في الديوان بإثبات الباء في (بصغي)، وسيأتي الحديث عنها في باب اللغة الشعرية.

ينظر: ابن عبدون، الديوان، 155.

(6) - ينظر: ابن عبدون، المكان نفسه.

فبعد أن قرّر أنه لا يقبل الضّيم أشار إلى قيس بن زهير بن جذيمة⁽¹⁾، صاحب حرب داحس والغبراء الشهيرة، فقرن بين نفسه وبين قيس في عدم قبول المهانة، إذ كانت القصيدة في الشكوى بعد خروجه من بطليوس، بعد أن رفض بنو القبطورنة⁽²⁾ استقباله فيها.

ومن الشخصيات التاريخية التي وظّفها ابن عبدون في شعره شخصية عمران بن حطان السدوسي، وهو خارجي إباضي⁽³⁾، من أشهر شعراء الخوارج.

ومن هذه الشخصيات أيضاً زُفر بن الحارث⁽⁴⁾، يقول ابن عبدون في قصيدة يمدح فيها المتوكل

ابن الأفتس: (البيسط)

أَسْرِي وَأَسْرِبُ لَا مُسْتَصْحَبًا أَحَدًا وَالنَّاسُ عَمِيَانُ لَوْلَا الْخُبْرُ عَنْ خَبْرِ
أَدُورُ فِيهِمْ وَعِمْرَانٌ يَخَاطِبُهُمْ مَنِّي وَهُمْ فِيَّ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ زُفْرٍ⁽⁵⁾

فهو يصوّر نفسه في غربته بعمران بن حطان وزفر بن الحارث، إذ كان كلاهما يعاني من الغربة والخوف كما هو واضح في ترجمتهما.

(1) - قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي الفارس المشهور الذي كان على يده حرب داحس والغبراء، قيل: إنّه عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب.

ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 5/ 558؛ الزركلي، الأعلام، 5/ 206.

(2) - بنو القبطورنة من أهل بطليوس، أسرة أصالة وبيت جلالة، أخذوا العلم كابراً عن كابر، وزراء وكتّاب وشعراء، وهم الإخوة أبو محمد طلحة، وأبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن محمد. ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 2/ 429.

(3) - كان عمران خارجياً إباضياً، يحرّض بشعره على الأمويين فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك ابن مروان، فرحل إلى عُمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد إلى أن مات. ينظر: ابن حجر، م.س، 5/ 302؛ الزركلي، م.س، 5/ 70.

(4) - زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، من أمراء التابعين، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين ووقعة مرج راهط، قتل الضّحّاك فهرب إلى قرقيسيا قرب الفرات إلى أن توفي نحو 75هـ. ينظر: ابن حبان، الثقات، 4/ 264؛ الزركلي، م.س، 3/ 45.

(5) - ابن عبدون، الديوان، 157.

ويوظف ابن عبدون في القصيدة نفسها شخصيتي عبلة وعتنرة، يقول:

كأَنَّما اللَّيْلُ زَارَ الْأَرْضَ ذَا شَعْفٍ فَأَكْبَرْتُ وَصَلَ أَحْوَى اللَّوْنِ ذَا عَوْرٍ

كَأَنَّهَا عَبْلَةٌ وَاللَّيْلُ عُنْتَرَةٌ فِي جَمْعِ أَشْتَاتِهِ لَوْ كَانَ ذَا بَصَرٍ⁽¹⁾

فصوّر الليل في سواده بعنتره، وصور الأرض بعبلة في شغفها وعشقها وشوقها لعنتره، وهو يقصد

بعنتره نفسه، وعبلة القبائل التي يزورها، فشوق هذه القبائل للقائه كشوق عبلة للقائه لعنتره.

ثم يوظف في القصيدة نفسها شخصية عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز، وشخصية

سيف بن ذي يزن فيقول:

مَا كَانَ فِي هَيْئَةِ الْأَرْضِ الْقِيَامُ لَنَا بِاللَّيْلِ لَوْلَا مَزِيدٌ مِنْ سَنَّا عُمَرَ

مَنْ مَجْدُهُ خَصَّ قَحْطَانًا وَأَنْعَمُهُ عَمَّتْ رَبِيعَةَ وَالْحَمْرَاءَ مِنْ مُضَرَ

- بِسَيْفِهِ انْتَأَشَ سَيْفٌ جَدُّهُ يَمْنًا لَا سَيْفٍ وَهَزَزَ الْمَحْدُودِ بِالنَّفْرِ⁽²⁾

إذ كان سيف بن ذي يزن الحميري، وهو من أكبر ملوك اليمن وأشهرهم، فيشير ابن عبدون إلى

قصته حين استعان بكسرى أنو شروان على الأحباش، حين احتلوا بلاده فأعانه عليهم وطهر البلاد

منهم.⁽³⁾ وكان عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز عادلين، فعَمَّ الخير في عهدهما البلاد

والعباد، فشمّل - كما يذكر الشاعر - قحطان وربيعه ومضر، وغيرها من القبائل.

ومن القبائل العربية التي وظف الشاعر أسماءها لحم ومخزوم، وذلك في قوله: (البيسط)

(1) - ابن عبدون، الديوان، 157-158.

(2) - ابن عبدون، م.س، 158.

(3) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 36/6.

لِي فِي مَنَاكِبِ أَرْضِ اللَّهِ مُضْطَرِبٌ إِنَّ سَامَحَتَ بِي النَّوَى لَحْمٌ وَمَخْزُومٌ⁽¹⁾

وهو يقصد بني عبّاد لأنّهم يمتدون في نسبهم إلى بني لحم ومخزوم⁽²⁾.

ومن الموروث التاريخي في شعر ابن عبدون توظيفه شخصيّة فرعون في قوله يخاطب رجلاً يكنى

أبا الحسن بن الأستاذ، وكان يدعي النبوة: (السريع)

أَيَّا نَبِيِّ الْكُفْرِ خَفَّ سَطْوَةٌ تَأْتِيكَ مِنْ فِرْعَوْنِكَ الْمُسْلِمِ⁽³⁾

فمن الواضح أنّ ابن عبدون يوظف شخصيّة فرعون مصر، وقد كان أبو الحسن هذا يلقب بالمتنبّي،

وإن لم يكن يدّعي النبوة، فقد كان - كما ذكر ابن بسّام في الذخيرة - يكره اللقب، ويغضب حين

يسمعه، وقد يكون ابن عبدون قصد بالفرعون أمير البلاد أو أيّ مسلم يغضب الله ولدينه، على أنّ

هذا توظيف على درجة عالية من العمق، وهو يشبه ما يسمى اليوم التناص⁽⁴⁾ من قبيل المفارقة، فقد

كان فرعون رأساً للكفر، بينما يجعله ابن عبدون في هذا البيت سيفاً على الكفر وعلى مدّعي النبوة.

ثانياً: توظيف الأحداث التاريخية

ظهرت في شعر ابن عبدون الكثير من أحداث التاريخ، والشخصيات التاريخية والقبائل في

مواضع عدّة، ومن ذلك ذكره جديس وطسم وعاد وسبأ وغيرها، وظهرت الشخصيات التي برزت في

فتنة الأمويين والعلويين، ومن هذه المواضع قوله في رثاء أبي مروان ابن سراج: (البيسط)

(1) - ابن عبدون، الديوان، 175.

(2) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 21/5، في ترجمة المعتمد.

(3) - ابن عبدون، م.س، 184.

(4) - التناص: هو اعتماد نص على نص آخر أو نصوص أخرى، ويكون هذا الاعتماد ذاتياً داخلياً يوظفه الشاعر بدلالات جديدة، وهو يقوم على محور التفاعل والتلاحم.

ينظر: عبد السلام، مصطفى بيومي، التناص مقارنة نظرية شارحة، عالم الفكر، ص66-67.

نَعَمْ هُوَ الدَّهْرُ مَا أَبَقَتْ غَوَائِلُهُ عَلَى جَدَيْسٍ وَلَا طَسِمٍ وَلَا عَادٍ
أَلَفْتُ عَصَاهَا بِنَادِي مَأْرِبٍ وَرَمَتُ بِآلِ مَامَةَ مِنْ بِيضَاءِ سِنَادٍ
وَأَسَلَمْتُ لِلْمَنَايَا آلَ مَسْلَمَةَ وَعَبَدْتُ لِلرَّزَايَا آلَ عَبَادٍ
مَا لِلْيَالِي، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا مِنْهَا، تُصْرَعُ أَضْدَادًا بِأَضْدَادٍ
- فَعَوِضْتُ مِنْ حَسِينِ الْخَيْرِ أَوْ حَسَنِ بِالْأَرْقَطِ بْنِ أَبِيهِ أَوْ بِعَبَّادٍ⁽¹⁾

فابن عبدون يرى كغيره من الشعراء والعلماء أنّ هذه الدنيا لا تبقى على أحد، ولا يدوم شيء على حال، فالدنيا يومان يوم لك ويوم عليك، فهذه الدنيا لم تبق على الأمم السابقة، فيذكرنا ابن عبدون بإهلاك جديس وطسم وعاد، وهي قبائل معروفة كانت تسكن الجزيرة العربية، وملكهم هو عمليق واشتهر بالظلم،⁽²⁾ وقد أهلكها الله سبحانه بسبب إعراضهم عن دينه وإصرارهم على الكفر، فلم يكن هلاك أبي مروان ابن سراج بدعاً من الأحداث وإنما هي سنة الله في خلقه. ثم يذكر آل مامة، وهو يعني كعب بن مامة،⁽³⁾ وهو كريم جاهليّ، يضرب به المثل في حسن الجوار، ويشير إلى ما آل إليه بنو عبّاد، وإنما يذكر ابن عبدون هؤلاء الأقوام؛ ليعتبر الناس بهلاكهم، ثم يذكر الحسن والحسين عليهما رضوان الله، ومصيرهم وهلاكهم رغم مكانتهم العظيمة، وكيف استبدلت الدنيا بهذين الرجلين ذوي النسب الكريم، بذوي النسب الوضيع، وهو ما كتبه عنه الشاعر بالأرقط بن أبيه، فحال أبي مروان كحال الحسن والحسين؛ إذ استبدلت الدنيا به من هو دونه في المكانة والشرف، ومما يؤكد

(1) - ابن عبدون، الديوان، 127-128.

(2) - ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 128/1؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 271/1.

(3) - هو أبو دؤاد، كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي، كريم، جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار، فيقال: أجود من كعب بن مامة، ويقرن في الكرم بحاتم الطائي وهرم بن سنان.

ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 237/2، ذكره ابن قتيبة في سياق حديثه عن أبي دؤاد الإيادي جارية بن الحجاج؛ الزركلي، الأعلام، 5/229.

هذا المعنى قوله: تصرع أصدادًا بأصداد. وهو في كل هذا متأثر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَلَكَّ

الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾.

ومن أهم القصائد التي تأثر فيها ابن عبدون بأحداث التاريخ قصيدته التي رثى فيها المتوكل ابن

الأفطس، وولديه الفضل والعباس بعد قتلها على أيدي المرابطين، والتي يقول فيها: (البسيط)

وَدَوَّخَتْ آلَ ذُبْيَانَ وَإِخْوَتَهُمْ عَبَسًا وَغَصَّتْ بَنِي بَدْرِ عَلَى النَّهْرِ⁽²⁾

فيشير هنا إلى حرب داحس والغبراء التي وقعت بين عبس وذبيان في الجاهلية، واستمرت سنين

طويلة كادت تفني القبيلتين⁽³⁾.

ويقول في القصيدة نفسها:

وَأَلْحَقْتُ بَعْدِي بِالْعِرَاقِ عَلَى يَدِ ابْنِهِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرِ⁽⁴⁾

وهو يشير إلى عدي بن زيد⁽⁵⁾ الذي أمره النعمان وألبسه التاج، إذ وشى به أعداء له إلى النعمان بما

أوغر صدره بقولهم للنعمان: إن زيدًا يقول: إنك عامله، وما زالوا يحرضونه عليه حتى أوغروا صدره

(1) - آل عمران، 3/ 140.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 141.

(3) - ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 449-460؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، 31-10-32.

(4) - ابن عبدون، م.س، 141.

(5) - شاعر من دهاة الجاهليين، من أهل الحيرة، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، ولما مات كسرى أنو شروان وولي ابنه هرمز أقر عديا ورفعاه. ثم تزوج هند بنت النعمان ابن المنذر، توفي نحو 590 م.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 9/ 126؛ الزركلي، الأعلام، 4/ 220.

عليه، فسجنه بالحيرة، فأرسل أخوه إلى كسرى ليكلّم النّعمان ليطلق زيّداً، غير أنّ أعداء زيّدٍ خوّفوا النّعمان من إطلاقه، فأرسل إليه من خنقه في سجنه⁽¹⁾.

ويُنقل ابن عبدون بين الحوادث التي وقعت في العراق في القصيدة نفسها فيقول:

وأهلكت إبرويزاً بابنه ورممت بيزدجرد إلى مرو فلم يحر
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت عنه سوى الفرس جمع التّرك والخزر
ولم ترد مواصي رستم وقتنا ذي حاجب عنه سعداً في ابنة الغير⁽²⁾

فيذكر من ملوك الفرس إبرويز بن هرمز، وكان من أشدّ ملوك الفرس بطشاً وأنفذهم رأياً، جمع بين البأس والنّجدة وجمع المال، معنى إبرويز المظفر⁽³⁾، ويذكر يزدجرد بن شهريار، آخر ملوك الفرس، وكان ضعيفاً يخضع لكبار الوزراء والعظماء، وقد تجرأ الأعداء في عصره على مملكة فارس، وقتل على أيدي الفرس أنفسهم بمرور أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه⁽⁴⁾، ورستم قائد جيش الفرس في معركة القادسية، شديد الإعجاب بنفسه وبجيش الفرس⁽⁵⁾، ثم يقول:

يوم القلب بنو بدر فنوا وسعى قلب بدر بمن فيه إلى سقر
ومرقت جعفرًا بالبيض واختلست من غيله حمزة الظلام للجزر
وأشرقت بخبيب فوق فارعة وأصقت طلحة الفياض بالعفر
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت إلى الزبير ولم تستحي من عمر

(1) – ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 374/1 – 376.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 142.

(3) – ينظر: ابن الأثير، م.س، 366/1.

(4) – ينظر: ابن الأثير، م.ن، 42/1، 387 – 388؛ ابن بدرون، شرح ابن بدرون، 139.

(5) – ينظر: ابن الأثير، م.س، 1 / 387، 304/2، 314؛ العمري، أكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة، 365.

وَلَمْ تُرَوِّدْ إِلَّا الضَّيْحَ فِي الغَمْرِ وَلَا رَعَتْ لِأبي اليَقْظَانَ صُحْبَتَهُ

وَأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ وَأَمَكَنْتُ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتِي شَمْرًا⁽¹⁾

وهو يشير إلى قتلى قريش يوم بدر قرب بئر القليب، وإلى استشهاد حمزة في أحد، وجعفر الطيار في مؤتة رضي الله عنهما، وإلى صلب خبيب بن عدي الأنصاري بعد يوم الرجيع، بعث به الرسول ﷺ بصحبة زيد بن الدثنة مع بعض المشركين لتعليمهم أمور دينهم، فاقتادوهما إلى مكة وباعوهما، وكان عدي قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فقتله بنوه به تأراً⁽²⁾، وإلى طلحة بن عبيد الله، وكان من دهاة قريش، عُرف بالشجاعة والجدود وهو من المبشرين بالجنة، من الذين دافعوا عن الرسول ﷺ يوم أحد بأجسادهم، وقد قُتل يوم الجمل وهو إلى جانب عائشة⁽³⁾، وإلى مقتل أبي اليقظان وهو عمار بن ياسر يوم صفين على أيدي أنصار معاوية،⁽⁴⁾ كما يشير إلى مقتل عثمان بن عفان سنة خمس وثلاثين من الهجرة،⁽⁵⁾ وإلى قتل الزبير بن العوام على يد عمرو بن جرموز،⁽⁶⁾ وإلى قتل عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة المجوسي،⁽⁷⁾ وإلى قتل علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن ابن ملجم،⁽⁸⁾ رضي الله عنهم أجمعين.

(1) - ابن عبدون، الديوان، 142- 143.

(2) - ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، 1/649؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 2/262.

(3) - ينظر: ابن حجر، م.س، 3/529- 531؛ الزركلي، الأعلام، 3/229.

(4) - ينظر: ابن بدرون، شرح ابن بدرون، 157.

(5) - ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/67- 68؛ ابن بدرون، م.س، 138.

(6) - ينظر: ابن بدرون، م.ن، 150.

(7) - ينظر: ابن الأثير، م.س، 2/447؛ العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، 78.

(8) - ينظر: العمري، أكرم ضياء، م.ن، 489.

ويتحدّث ابن عبدون في القصيدة نفسها عن عمرو بن العاص، وعن قصة معاوية بن أبي سفيان

مع ابني عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول:

وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ فَدَتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشْرِ
وَفِي ابْنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنِ أَتَتْ بِمُعْضَلَةِ الْأَلْبَابِ وَالْفَكْرِ
- وَأَرَدْتُ ابْنَ زِيَادٍ بِالْحَسَيْنِ فَلَمْ يَبُوءَ بِشَيْءٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظَفُرٍ⁽¹⁾

ففي البيت الأول يتحدث عن قتل (خارجة)، الذي قتله أحد الخوارج ظنًا منه أنه عمرو ابن العاص،⁽²⁾ وفي البيت الثاني يشير إلى الفتنة بين معاوية والحسن والحسين، ويتحدّث عن موت الحسن وشكّ المسلمين بموته بالسّم، أو أنّ رجلاً من أنصاره الذين ثاروا عليه قتله بمعول،⁽³⁾ فالشاعر يأخذ العبر من القصة وهي أنّ الدنيا لا تدوم على حال. ويتحدّث في البيت الثالث عن تدبير زياد بن أبيه لقتل الحسين، ثم مقتله بعد ذلك على يد إبراهيم بن الأشتر.⁽⁴⁾ ثم يتحدّث بعد ذلك عن آل الزبير فيقول:

وَعَمَّتْ بِالظُّبَى فَوَدَيْ أَبِي أَنَسٍ وَلَمْ تَزِدْ الرَّدَى عَنْهُ قَنَا زُفْرٍ
وَأَنْزَلْتُ⁽⁵⁾ مَصْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ كَانَتْ بِهَا مُهَجَّةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزْرِ
وَلَمْ تَرَاقِبْ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا رَاعَتْ عِيَادَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ⁽⁶⁾

(1) - ابن عبدون، الديوان، 144.

(2) - ينظر: ابن بدرون، شرح ابن بدرون، 167-168.

(3) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 65؛ الزركلي، الأعلام 2/199.

(4) - ينظر: ابن بدرون، م.س، 186.

(5) - وردت في الديوان (أنزلت)، ووردت في الذخيرة (وأنزلت)، ولا يستقيم الوزن بدون الواو، ابن عبدون، الديوان، 144؛ ابن بسام الذخيرة، القسم الثاني، 4/ 722.

(6) - ابن عبدون، م.س، 144.

فيشير في البيت الأول إلى رجلين من أنصار مصعب بن الزبير، قُتل الأول وهو الصّحّاح بن قيس الفهريّ، وفرّ الثّاني وهو زفر بن الحارث الكلابيّ، ويشير في البيت الثّاني إلى مقتل مصعب ابن الزبير وابنيه عروة وعيسى، وبعض أنصاره، والمختار بن عبيد الثّقفي في الفتنة،⁽¹⁾ ويتحدث في البيت الثّالث عن قتل الحجّاج لعبد الله بن الزبير رغم تعلّقه بالبيت الحرام⁽²⁾.

ثم يستطرد ابن عبدون في حديثه، فيفصّل الحديث عن الذين قتلهم بنو أميّة من خصومهم السياسيين فيقول:

وأعمت في لطيم الجنّ حيلتها واستوسقت لأبي الذّبان ذي البخر
- وأحرقت شلّو زيد بعدما احترقت عليه وجداً قلوب الآي والسور
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم تُبقِ الخلفة بين الكأس والوتر⁽³⁾

فيذكر في البيت الأول لطيم الجنّ ويسمّي (لطيم الشّيطان)⁽⁴⁾، قتله عبد الملك بن مروان بعد أن ولّاه أبوه مروان بن الحكم ولاية العهد⁽⁵⁾، ويتحدّث في البيت الثّاني عن زيد بن عليّ بن الحسين، وقد قتله الحكم بن الصّلت وهو حاكم الكوفة بأمر يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق لهشام، ففعل ثم قتله وقطع رأسه وحمله إلى الشّام، فنصب بباب دمشق ثم حُمّل إلى المدينة فنصب على قبر الرّسول ﷺ،

(1) - ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، 1/ 59؛ ابن بدرون، شرح ابن بدرون، 19؛ الزركلي، الأعلام، 45/3.

(2) - ينظر: ابن بدرون، م.س، 194-195، الزركلي، م.س، 87/4.

(3) - ابن عبدون، الديوان، 145.

(4) - لطيم الجنّ، هو عمرو بن سعيد بن العاص، ويسمى عمر الأشدق؛ لتشادقه في الكلام، كان أحد أشراف الأمويين، ولّاه مروان بن الحكم العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل: إنها أول غدرة في الإسلام.

(5) - ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 161؛ الزركلي، م.س، 78/5-79.

ثم حمل إلى مصر فنصب بالجامع فسرقه أهل مصر فدفنوه،⁽¹⁾ ويتحدّث في البيت الثالث عن الوليد بن يزيد وهو من شجعان بني أمية، ببيع بالخلافة سنة 125هـ.⁽²⁾

ويفصّل بعض القصص التي وقعت في تاريخ الفتنة، ثم ينتقل إلى الحديث عن نكبة البرامكة في عصر الرّشيد، فيقول:

وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ
وَالشَّيْخُ يُحْيِي بَرِيقَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ⁽³⁾

وقد استمرت سطوتهم في الدولة نحو سبع عشرة سنة، إلى أن قُتل يحيى بن خالد البرمكي في سجن الرّشيد،⁽⁴⁾ وجعفر هو أبو الفضل بن يحيى البرمكي، كان وزير هارون الرّشيد إلى أن نقم الرّشيد على البرامكة، توفي في السجن سنة 190هـ⁽⁵⁾، والفضل هو ابن يحيى البرمكي، اشتهر بالجدود، وكان الرّشيد ولاء الوزارة قبل أخيه جعفر⁽⁶⁾.

ومما تحدّث عنه ابن عبدون في هذه القصيدة أيضًا فتنة الأمين والمأمون ثم بعض خلفاء العباسيين كجعفر بن المعتصم والخليفة المستعين فيقول:

وَأخْفَرْتُ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ وَأَنْتَدَبْتُ
لِجَعْفَرٍ بَابِنِهِ وَالْأَعْبُدِ الْعُدْرِ
وَمَا وَفَتْ بَعْهُودِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
بِمَا تَأَكَّدَ لِلْمُعْتَرِّ مِنْ مِرْرِ⁽⁷⁾

(1) - ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، 1/118.

(2) - ينظر: الذهبي، م.س، 1/123-124؛ الزركلي، الأعلام، 8/123.

(3) - ينظر: ابن عبدون، الديوان، 146.

(4) - ينظر: الذهبي، م.س، 1/238؛ الزركلي، م.س، 8/144.

(5) - ينظر: الذهبي، م.س، 1/238؛ الزركلي، م.س، 2/130.

(6) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/27.

(7) - ينظر: ابن عبدون، م.س، 146-147.

فيذكر فتنة ابني هارون الرّشيد الأمين والمأمون، وهي معروفة مشهورة، إذ جهّز الأمين جيشاً قوامه أربعين ألف فارس، وخرج على أخيه المأمون، ووقعت بينهما حروب عظيمة،⁽¹⁾ ويذكر في عجز البيت الأول جعفر بن المعتصم الخليفة العبّاسي، وكان قد قتل بإغراءٍ من ابنه المنتصر بن جعفر ابن المعتصم سنة 247هـ.⁽²⁾

وأما المستعين المذكور في البيت الثاني فهو الخليفة العبّاسيّ أبو العباس أحمد بن المعتصم ابن هارون الرّشيد، قتله بعض قوّاده، إذ كانت أيامه أيام فتن وفوضى⁽³⁾. ومما تحدّث عنه في القصيدة نفسها الزبّاء⁽⁴⁾ فيقول:

وَأَعْتَرَتْ آلَ عِبَادٍ لَعَا لَهُمْ بَدِيلَ زَبَاءٍ لَمْ تَنْفِرْ مِنَ الدُّعْرِ⁽⁵⁾

وهي بنت عمرو بن الظّرب، الملكة المشهورة في العصر الجاهلي⁽⁶⁾.

ومن الأحداث التّاريخية في شعر ابن عبدون قوله في المتوكّل:

(الخفيف)

أَوْقَعُوا بِالْمَجُوسِ مَا يَعْلَمُ اللّٰهُ لَهُ وَتَنَوُّوا مِنْ بَعْدِهَا بِالرُّومِ⁽⁷⁾

فهو يشير في هذا البيت إلى معركة القادسية واليرموك.

(1) - ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، 1/ 244؛ الكتبي، فوات الوفيات، 4/ 47.

(2) - ينظر: الذهبي، م.س، 1/ 353؛ الزركلي، الأعلام، 2/ 127.

(3) - ينظر: الذهبي، م.س، 1/ 360-361؛ الزركلي، م.س، 6/ 70.

(4) - الزبّاء بنت عمرو بن الظّرب، صاحبة تدمر وملكة الشّام والجزيرة، امتد حكمها من الفرات إلى بحر الروم، ومن صحراء العرب إلى آسية الصغرى، واستولت على مصر مدة، قتلت نفسها بالسّم قائلةً المثل المشهور: بيدي لا بيد عمرو. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 2/ 67-77؛ الزركلي، م.س، 3/ 41.

(5) - ابن عبدون، الديوان، 147.

(6) - ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 2/ 67-77؛ الزركلي، م.س، 3/ 41.

(7) - ابن عبدون، م.س، 182.

يظهر من القصيدة السابقة أنّ ابن عبدون لديه ثقافة تاريخية واسعة، فهو على علم بتاريخ العرب والأمم الأخرى، وإنّما يذكر ابن عبدون هذه الأحداث ليعتبر الناس بأحداث التاريخ، فهذه الدنيا لا تبقى شيئاً على حاله، وليكون هذا عزاءً لذوي ابن سراج.

ويظهر مما سبق أنّ ابن عبدون على علم بأحداث التاريخ والشخصيات التي كان لها دورٌ في صناعة أحداثه في شعره، فقد شكّلت هذه الأحداث عنصراً رئيساً في مضامينه وموضوعاته الشعرية.

المبحث الرابع: توظيف الموروث الأدبي في شعر ابن عبدون

يلجأ الشعراء إلى النصوص الشعرية القديمة لمنح نصوصهم القوة والخصب، فالأدب هو أحد أهمّ وسائل الإبداع لديهم، يرتبطون به ارتباطاً فنياً؛ لما يتضمنه من تجارب فنية عظيمة، يمكنهم إعادة صياغتها للتعبير عن تجاربهم الخاصة⁽¹⁾. ليس الأدب والأدباء المتقدمون على ابن عبدون بأقلّ أثراً من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتاريخ وشخصه وأحداثه عليه، وسأتناول تأثر ابن عبدون في شعره ونثره بالشعر وبالشخصيات الأدبية المتقدمة عليه، بدءاً بالأغراض الشعرية ثم النثر.

أولاً: توظيف الموروث الشعري في شعر ابن عبدون:

1- في المدح:

تأثر ابن عبدون ببعض القدامى من الشعراء في المعاني والتراكيب والصّور في مديحه كثيراً، كوصف الممدوح بالكرم والجود والشجاعة والمجد والسؤدد، وتصويره بالشمس والقمر والنّريا وغير

(1) - واصل، عصام، التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر، 119.

ذلك من المناقب، ومن ذلك قوله يمدح الوزير أبا الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد صوره
بالبحر⁽¹⁾:
(الطويل)

أَبَا حَكْمٍ أبلغُ سَلامٍ فَمِ يَدَيَّ أَبِي حَسَنِ وَأَرْفُقُ فَكَلِتاهُمَا بَحْرُ
وَلَا تَنْسَ يُمناكَ الَّتِي هِيَ وَالنَّدَى رَضِيعاً لَبانٍ لَا اللَّجِينُ وَلَا التَّبْرُ⁽²⁾

فقد حيّا الممدوح ووصفه بالبحر في الكرم، وأسند الندى إلى يمناه، وهذه المعاني قد طرقها الشعراء
منذ العصر الجاهلي، ومن ذلك قول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر: (البيسط)

أَخلاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ ما لَها خَطَرٌ في البأسِ والجودِ بين العِلمِ والخَبَرِ
مُتَوَجِّجٌ بِالْمَعاليِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وفي الوَعى ضَيَعَمَ في صُورَةِ القَمَرِ⁽³⁾

فكلاهما وصَفَ الممدوحَ بالجودِ والكرمِ.

من ذلك قوله في مدح المعتمد بن عباد:
(الكامل)

إِنَّ المَمالِكَ والسُيُوفَ شُهُودٌ لَكُمْ إِماءً والمُلُوكُ عَبِيدُ⁽⁴⁾

فهو من قول بشار بن برد:
(الطويل)

إِذا ما أَعزَّنّا سَيِّداً من قَبيلَةٍ ذُرَى مَنبَرٍ صَلَّى عَلَينا وَسَلَّما⁽⁵⁾

(1) – وزير أندلسي، وصفه ابن بسام بالوفاء والعلم وبأنه جمع مكارم الأخلاق، وأنه كان عالي المكانة وعلى قدر عظيم من المجد.

ينظر: ابن المقري، نفح الطيب، 470/3؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني 588/4.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 136.

(3) – النابغة الذبياني، الديوان، 42.

(4) – ابن عبدون، م.س، 123.

(5) – بشار بن برد، الديوان، 163.

فبشّار يرى أنّ سادة القبائل والأقوام يتدلّون لقبيلته ليأذنوا لهم أن يعتلوا المناير، فإن أذنوا لهم فلا بدّ أن يبدؤوا الحديث أو الخطبة بذكر قبيلته، فرجال قبيلته سادة وسواهم تابع لهم، وكذلك ابن عبدون فهو يرى أنّ الممالك إماء للمعتمد، وملوكها عبيد له.

ومن تأثّر بالتراث الأدبي قوله واصفاً بالجود المتوكّل بن الأفضس: (البيسط)

أَنْتُمْ عَنَى مُسَلِّمٍ يَا آلَ مَسَلَمَةَ بِالْجُودِ إِذْ لَمْ يَنَازِعُهُ بَنُو مَطَرٍ
وَلَمْ يُرِدْ مَطَرًا جَدَّ الْيَزِيدِ وَلَكِنْ مَنْ مِنْ نَدَى جَدِّكُمْ سَمَّاهُ بِالْمَطَرِ⁽¹⁾

وهو متأثّر بقول مسلم بن الوليد: (البيسط)

لَوْلَا يَزِيدٌ لِأَضْحَى الْمَلِكِ مُطَرِّحًا أَوْ مَائِلَ السَّمَكِ أَوْ مُسْتَرْخِيَ الطُّولِ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ (بَنِي مَطَرٍ) أَقَامَ قَائِمَهُ مَنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ⁽²⁾

فمسلم بن الوليد يمدح يزيد بن يزيد الشيباني⁽³⁾، ويبين فضله في حفظ الثغور، إذ بعث اليزيد قائداً من بني مطر يقوم كل من يخرج عليه، لكن ابن عبدون يُحوّر كلام مسلم بن الوليد فيجعل مدح مسلم موجهاً إلى المتوكّل، ويجعل اسم (بني مطر) مراداً لمسلم بن الوليد كأنه إنّما يريد مدح المتوكّل.

ومن تأثّر بالقدامي في هذه المعاني قوله في مدح المعتمد بن عباد: (الكامل)

شَامَتْكُمْ فِي الْمَكْرَمَاتِ عَزَائِمٌ جَارٍ عَلَى أَحْكَامِهَا التَّأْيِيدُ

(1) – ابن عبدون، الديوان، 159.

(2) – ابن الوليد، مسلم، الديوان، 7.

(3) – يزيد بن يزيد الشيباني، ابن أخي معن بن زائدة، له ولدان خالد والزيبر، اشتهر بالشجاعة والكرم والدهاء، كان والياً على اليمن ثم أرمينيا، فعزله هارون الرشيد، ثم ولاة اليمن من جديد وضمّ إليه أرمينيا سنة، وهو قاتل الوليد ابن ظريف أحد رؤوس الخوارج.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 327/6، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 70 /17.

وَعَلَا نَشْأَنَ مَعَ النُّجُومِ وَقَبْلَهَا وَلَهُنَّ مِنْ بَعْدِ النُّجُومِ خُلُودٌ⁽¹⁾

فالبيت الثاني من بيت المعري⁽²⁾: (الوافر)

نَشْأَنَ مَعَ النَّعَامِ بِكُلِّ دَوٍّ فَقَدْ أَلْفَتْ نَتَائِجَهَا الرَّئَالَآ⁽³⁾

والذي يبدو لي أنّ ابن عبدون تأثر بالتركيب دون المضمون، فعبارة ابن عبدون (نشأن من النجوم) تشبه عبارة المعري (نشأن مع النعام)، فبيت ابن عبدون في مدح المعتمد، وبيت المعري في وصف الخيل.

ومن هذا التّأثر قوله في مدح الرّشيد عبيد الله بن المعتمد⁽⁴⁾: (الوافر)

رَمَتْ فِي الْبَحْرِ مِنْكَ وَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى أَرْضٍ بَقِيعَتُهَا سَرَابٌ⁽⁵⁾

فابن عبدون يصف الأرض التي مرّ بها في طريقه إلى الممدوح بالصّحراء المقفرة، وهو متأثر في هذا بالنصّ القرآني في سورة النّور⁽⁶⁾، وقد سبقه عدد من الشعراء إلى هذا المعنى منهم أبو العتاهية

في قوله يصف محاسن الدّنيا: (الوافر)

كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا سَرَابٌ وَأَيُّ يَدٍ تَنَاوَلَتِ السَّرَابَا⁽⁷⁾

(1) – ابن عبدون، الديوان، 123.

(2) – ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني 4/707

(3) – المعري، الديوان، 4.

(4) – أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عباد، أكبر أولاد المعتمد، كان رقيق الطبع، درس شيئاً من العلوم الرياضية، وكان يضرب على العود، وله أدب وشعر، جعله المعتمد ولي عهده، وولاه القضاء في إشبيلية، توفي نحو 530هـ.

ينظر: ابن الأبار، الحلة السّيراء، 68/3؛ الزركلي، الأعلام، 1/334.

(5) – ابن عبدون، م.س، 107.

(6) – سبقت الإشارة إلى ذلك في هذه الرسالة في الصفحة 31.

(7) – أبو العتاهية، الديوان، 32.

لكنّ أبا العتاهية يدعو إلى الزّهد في الدنيا ومحاسنها، فهي سراب زائل، ولا يمكن للإنسان أن يمسك بيده السّرّاب، أمّا ابن عبدون فهو يريد أن يتقرّب من الممدوح؛ فيقول: إنّ كلّ شيء سوى ما عند الرّشيد سراب لا قيمة له.

2- في الفخر:

تأثّر الشاعر في فخره كذلك بالقدامي، ومن ذلك قوله: (الوافر)

إذا الكرماء نامت فوق ضميم فما فضل الكبير على الصغير⁽¹⁾

وهو بهذا متأثّر بقول عنتره: (الكامل)

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعرّ كأس الحنظل⁽²⁾

فكلاهما يرفض الدّلّ المهانة. وهو متأثّر بالمتنبي في قوله: (الخفيف)

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

كُلُّ حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام⁽³⁾

وقوله أيضًا: (الطويل)

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم⁽⁴⁾

(1) - ابن عبدون، الديوان، 155.

(2) - عنتره، الديوان، 135.

(3) - المتنبي، الديوان، 164.

(4) - المتنبي، م.ن، 385.

فالمتمبني يرى أنه لا يحقّ لأحد الفخر إلا من لا يقبل الضيم، وأنّ اللئيم فقط من يقبل بالمجد دون كدّ وتعَب، وأنّ الدليل قد اعتاد على الذلّ فيقبل به بسهولة، وفي النص الثاني يرى أنّ المجد والكرامة والرفعة إنّما تكون بقدر ما عند الإنسان من عزّة وكرامة وشرف وإرادة، وهذا ما أراده ابن عبدون، فالكرماء عندهم لا يقبلون الضيم، وإلا فسوف يستوي الكريم واللئيم.

3- في الغزل:

تأثّر ابن عبدون بشعر من سبقه في الغزل، ومن أهمّ مظاهر هذا التأثّر تأثّره بالمقدمة الطليّة التي ميّزت القصيدة العربيّة زمنًا طويلًا، وذلك في قوله مادحًا الفتح بن خاقان⁽¹⁾: (الطويل)

سَلامٌ يُناجِي منه زَهْرُ الرُّبَى عَرَفُ فلا سَمْعَ إِلا ودَّ لو أَنَّهُ أَنفُ
- نَأَى لا نَأَى عَهْدُ التَّوَأَصْلِ بَيْنَنَا فَمَجْدٌ بِهِ رَسْمُ التَّوَأَصْلِ لا يَغْفُو⁽²⁾

فقد أظهر ابن عبدون في البيت الأول وما يليه شوقه إلى تلك الرّبي والبلاد التي بها الفتح بن خاقان، وفي البيت الثاني بيّن أنّ علاقة المحبّة بينه وبين الفتح باقية، فصور تلك العلاقة برسم الطلل، غير أنّه لا يغفو كما تغفو رسوم الأطلال.

وتأثّر ابن عبدون بغزل امرئ القيس متّكئًا على التّضمين، فقد ضمّن قصيدةً له يخاطب المتوكّل

ابن الأفتس شطراتٍ من شعره، يقول ابن عبدون: (الطويل)

(1) - أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، له عدة تصانيف منها مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس، من أشهر أدباء الأندلس، ويوصف بكثرة التهتك، وكان كثير الأسفار سريع التنقلات، وتوفي قنيلًا سنة 535هـ بمدينة مراكش.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 23، الزركلي، الأعلام، 5/ 134.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 165.

أَيَا سَامِيًّا مِنْ جَانِبِيهِ إِلَى الْعُلَا "سَمُوْ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا إِلَى حَالٍ"
لِعَبْدِكَ دَارٌ حَلٌّ فِيهَا كَأَنَّهَا "دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ"
يَقُولُ لَهَا لَمَّا رَأَى مِنْ دُنُورِهَا "أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي"
فَقَالَتْ وَمَا عِيَّتْ جَوَابًا بَرْدَهَا "وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي"
فَمُرَّ صَاحِبَ الْأَنْزَالِ فِيهَا بِفَاصِلٍ "فَإِنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ"⁽¹⁾

فهذه الأبيات أنصافها أنصاف أبيات لامرئ القيس، فقد أخذها ابن عبدون بنصّها، فعجز البيت

الأول عجز بيت امرئ القيس: (الطويل)

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سَمُوْ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ⁽²⁾

غير أن ابن عبدون جعل (إلى) في موضع (على)، وعجز البيت الثاني صدر بيت امرئ القيس:

دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أُسْحَمٍ هَطَّالٍ⁽³⁾

وعجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي⁽⁴⁾

وعجز البيت الرابع عجز بيت امرئ القيس السابق، وعجز البيت الخامس عجز بيت امرئ القيس:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بَأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ⁽⁵⁾

(1) - ابن عبدون، الديوان، 171 .

(2) - امرؤ القيس، الديوان، 124 .

(3) - امرؤ القيس، م.ن، 123 .

(4) - امرؤ القيس، م.ن، 122 .

(5) - امرؤ القيس، م.ن، 126 .

أيّ أن ابن عبدون أخذ أبيات امرئ القيس وما زاد على أن غير ترتيب شطراتها، وقد أشار محقق الديوان إلى ذلك كله⁽¹⁾، وهذا وإن كان من قبيل التّضمين فإنه شكّل من أشكال التأثر، وإنّما أراد ابن عبدون أن يصرّح سوء حال الدّار التي أنزله بها المتوكّل، فقد نزل عليه ماء المطر لِقَدَم سقّفاها، فأراد أن يعاتب المتوكّل، فقرن بين الأطلال التي هجرها أهلها وهذه الدّار⁽²⁾.

4- في الرّثاء:

تأثر ابن عبدون في رثائه بالموروث الثقافيّ الإسلاميّ، وبمعاني القدامى، يقول ابن بسّام: "واقفتي أبو محمد أثر فحول القدامى، من ضربهم الأمثال في التّأبين والرّثاء، بالملوك الأعزة، وبالوعول الممتعة في قلال الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبالسنور والعقبان والحيات في طول الأعمار، وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجود"⁽³⁾، وذلك في معرض تعليقه على قصيدة منها:

(البسيط)

وكان ملء الرّبي يرمي بأزباد	فما سمعنا ببحرٍ غاصّ في جدّ
على السّها حملوه فوق أعواد	ولا بطودٍ رسا تحت الثّرى وسما
فلم يكن في قوى منها ولا آد	أعجوبة قصرت من خطو كلّ حجى
بكوكبٍ في سماء المجد وقاد ⁽⁴⁾	لقد هوت منك خانتها قوادمها

(1) - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 171 .

(2) - ينظر: المقري التلمساني، فح الطيب، 3 / 293 .

(3) - ينظر: ابن بسّام، الذخيرة، القسم الثاني، 818/2 .

(4) - ابن عبدون، الديوان، 129 - 130 .

فهذه المعاني قد أكثر القدامى من ذكرها في تمجيد من يرثونهم، كوصف المتوفى بالمجد فهو كقول

زهير بن أبي سلمى في رثاء سنان بن أبي حارثة المرّي⁽¹⁾: (الطويل)

وَأِنِّي لَمَهْدٍ، مِنْ تَنَاءٍ وَمِدْحَةٍ إِلَى مَا جَدٍ، تُبْعِي لَدَيْهِ الْفَوَاضِلُ⁽²⁾

وكتشبيه جرير الوليد بن عبد الملك بالشمس في قوله: (البيسط)

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ⁽³⁾

وكتشبيه حسان بن ثابت شهداء مؤتة بالجمال: (الطويل)

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمٌ عَزَّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ

وَهُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ إِلَى طُودِ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ⁽⁴⁾

فقد شبه ابن عبدون المتوفى بالجبيل العظيم، وشبه حسان شهداء مؤتة بالجمال، والناس حولهم

صخور عظيمة.

(1) - أحد أجواد العرب، وقضاتهم المحكمين، في الجاهلية، عنفه قومه على كثرة عطاياه، فركب ناقه ولم يرجع، فسمته العرب ضالة غطفان، عاش في عهد النعمان بن المنذر.

ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 220/1، 425؛ الزركلي، الأعلام، 141/3.

(2) - زهير، الديوان، 98.

(3) - جرير، الديوان، 229.

(4) - حسان، الديوان، 109.

5- في الوصايا والحكم:

الوصية من وصي، وأوصى الرجل ووصاه عهد إليه، وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك، وأوصيته ووصيته إيحاء وتوصية بمعنى واحد. (1) والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والحكمة من العلم، والحكيم العالم وصاحب الحكمة، وقد حكّم أي صار حكيماً (2).

لقد شاعت الحكمة على ألسنة العرب منذ العصر الجاهلي، وعُرف كثير منهم بها، وكثرت وصايا الحكماء للناس وبخاصة لأبنائهم، (3) وقد انتشرت الحكم والوصايا في العصور التالية، وكذلك في شعر ابن عبدون، ومن ذلك قوله في رثاء المتوكل وولديه:

(البسيط)

فلا تُعْرَنِكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمُهَا فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ (4)

فهو يحذر من مكر الدنيا وتقلباتها، ويدعو الإنسان إلى عدم الاطمئنان إلى ملذاتها.

ومنها قوله: : (صدره من البسيط وعجزه من الرجز)

فَأَنْتَ يَا وَلَدَ الْفَخَّارِ أَنْتَ كَمَا تُدْعَى وَلَا تُسَبِّقُ الرَّأْيَ الْأَلْفَ (5)

ففيه دعوة إلى الزهد والابتعاد عن رغد العيش ومتع الدنيا.

(1) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وصى.

(2) - ينظر: ابن منظور، م.ن، مادة حكم.

(3) - ينظر: عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 182.

(4) - ابن عبدون، الديوان، 139.

(5) - ابن عبدون، م.س، 164، ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، 119. هكذا ورد في الديوان وفي المقتضب، صدره من البسيط وعجزه من الرجز، وقد سبقت الإشارة إليه في صفحة 36 من هذه الرسالة في باب تأثر ابن عبدون بالموروث في القرآن الكريم.

ومن ذلك أيضاً قوله:

(الوافر)

إِذَا الْكُرْمَاءُ نَامَتْ فَوْقَ ضَيْمٍ فَمَا فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
فَقَبَّلُ أَبِي الدَّنِيَّةِ قَيْسُ عَبْسٍ وَلَمْ يُصْغِي إِلَى قَوْلِ الْمُشِيرِ⁽¹⁾

وفيه يشكو إعراض الدنيا عنه، ولكنّه يرفض الذلّ والضميم والمهانة، ويشير إلى رفض الأحرار قبله للخنوع، فيذكر قيس عبس، وهو قيس بن زهير ورفضه للمهانة والذلّ.

ومن حكمه أيضاً قوله:

(الوافر)

رُويَدَكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ الْخَوُونُ سَتَأْكُلُنَا وَإِيَّاكَ الْمُنُونُ
تُعَلَّنَا الْأَمَانِي وَهِيَ زُورٌ وَتَخْدَعُنَا اللَّيَالِي وَهِيَ خُونٌ⁽²⁾

إنّ يؤكد الشاعر على ما سبق الحديث عنه، وهو مكر الدنيا وتقلّبها، وعدم بقائها على حال، ووصف

الدَّهْرُ بالخيانة، وهذا كثيرٌ عند الشعراء كقول النابغة الجعديّ:

(الطويل)

وَلَا تَأْمَنُوا الدَّهْرَ الْخَوُونُ فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِالْوَرَى يَتَقَلَّبُ⁽³⁾

ومثله قول أبي العتاهية:

(الكامل)

إِنَّ الزَّمَانَ يَغْرُبِي بِأَمَانِهِ وَيُذَيِّقُنِي الْمَكْرُوهَ مِنْ حَدَثَانِهِ
وَأَنَا النَّذِيرُ مِنَ الزَّمَانِ لِكُلِّ مَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ وَاثِقًا بِرَمَانِهِ⁽⁴⁾

(1) - ينظر: ابن عبدون، الديوان، 155، هكذا ورد في الديوان بإثبات الياء في (يصغي)، وسأعلق عليه في باب الموروث اللغوي.

(2) - ابن عبدون، م.ن، 186.

(3) - النابغة الجعدي، الديوان، 29.

(4) - أبو العتاهية، الديوان، 280.

فوصف الزمان بالغرور، وجعله سبب المكروه، فأندر الناس منه ومن تقلبه.

ويؤكد ابن عبدون على هذه الفكرة فيقول في القصيدة نفسها:

وَأَبَقْتَنِي يَدُ الْأَيَّامِ فَزْدًا كَمَا عَدَرْتُ بِبُيُورِهَا الْيَمِينُ
وَهَلْ يَبْقَى عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي شَفِيقٌ أَوْ شَقِيقٌ أَوْ قَرِينُ

فيقول لنا: إنَّ الدُّنْيَا قَدْ مَكَرَتْ بِهِ وَتَرَكَتَهُ يَوجَاهِ مَصَائِبِهَا فَرْدًا، وَإِنَّ الْغَيْرَ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ، وَمِثْلُهُ فِي

تصوير نوائب الحياة قول النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ أَيْضًا:

(الطويل)

لَتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا دَعْدَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمُصَنَّمُ⁽¹⁾

فصوّر صرُوف اللَّيَالِي وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَالِهِ، وَصوّرَ تَصْمِيمَ الزَّمَانِ عَلَى الْإِحْقَاقِ الْأَذَى

بِهِ. يَتَبَيَّنُ لَنَا مِنْ خِلَالِ النَّصُوصِ السَّابِقَةِ تَأَثُّرَ ابْنِ عَبْدِوْنَ الشَّدِيدِ بِالشُّعْرَاءِ السَّابِقِينَ، وَسَعَةَ إِطْلَاعِهِ

عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ وَصَايَا وَحُكْمٍ، وَمَدَى اسْتِفَادَتِهِ مِنْهَا.

6- في الأغراض الشعرية الأخرى

يُعدُّ ابْنُ عَبْدِوْنَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُقْلِينَ بِشَكْلِ عَامٍ، وَالْأَغْرَاضِ السَّابِقَةِ هِيَ أَهَمُّ أَغْرَاضِهِ الشُّعْرِيَّةِ،

وَالْمَدِيحُ أَكْثَرُهَا، فَقَدْ نَالَ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ فِي شِعْرِهِ، وَأَمَّا الْأَغْرَاضُ الْأُخْرَى سِوَى الْمَذْكُورَةِ فِيمَا سَبَقَ فَهِيَ

(1) - النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ، الْدِيْوَانُ، 152.

قليلة جداً، فلا نجد في الزهد إلا بيتاً واحداً،⁽¹⁾ وكذلك وصف الطبيعة،⁽²⁾ وإن كان يقدم أحياناً في مدائحه بوصف الطبيعة؛ ليجعل تلك المقدمة مدخلاً للمديح، ووصف الخمر مقطعتين فقط⁽³⁾.

لقد تناول ابن عبدون هذه الموضوعات معتمداً على الموروث الشعري، فيصف الربيع وصفاً

تقليدياً لا تجديد فيه فيقول:

(البسيط)

يَا نَفْحَةَ الزَّهْرِ مِنْ مَسْرَاكِ وَأَفَانِي خُلُوصُ رِيَاكِ فِي أَنْفَاسِ آدَارِ
وَالأَرْضُ فِي حُلَلٍ قَدْ كَادَ يَحْرِقُهَا تَوَقَّدُ النُّورِ لَوْلَا مَاؤُهَا الْجَارِي
وَالطَّيْرُ فِي وَرْقِ الأشْجَارِ شَادِيَةً كَأَنَّهُنَّ قِيَانٌ خُلْفَ أَسْتَارِ⁽⁴⁾

فوصف جمال الربيع وتفتح الأزهار وتشبع الهواء بعبقها، وغناء الطيور فهي كالقيان المختفية خلف الأستار، وتوقد الأزهار التي تكاد تحرق الأرض لولا الأنهار الجارية تطفئها،⁽⁵⁾ وما زاد على وصف السابقين من شيء، وكذلك وصفه الخمر فهو تقليدي لا تجديد فيه، فقد وصفها بالشهاب المنير، وصورها بالمرأة الواقفة بالباب تنتظر الإذن بالدخول،⁽⁶⁾ ويصفها بريق المعشوقة⁽⁷⁾ وهو كقول عنتره:

(الكامل)

وَكَمَا الرَّبِيعُ رِيَاكِ فِي أَزْهَارِهِ حُلَا إِذَا مَا الأَرْضُ فَاحَ رَبِيعُهَا⁽⁸⁾

(1) - ابن عبدون، الديوان، 164.

(2) - ابن عبدون، م.ن، 153.

(3) - ابن عبدون، م.ن، 104، 176.

(4) - ابن عبدون، م.ن، 153.

(5) - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 77.

(6) - ابن عبدون، م.س، 104.

(7) - ابن عبدون، م.ن، 176.

(8) - عنتره، الديوان، 92.

فجاءت معانيه وصوره في الوصف تقليديّة مأخوذة من الموروث.

ثانيًا: توظيف الشخصيات الأدبية

وظّف ابن عبدون الشخصيات الأدبية من التاريخ الأدبي العربي، كما مرّ القيس وعمرو ابن

كلثوم، والخنساء، يقول في رثاء ذي الوزارتين أبي محمد بن خلدون⁽¹⁾: (الطويل)

مَلَكْتَ فَاسْجِحْ لَا أَبَا لَكَ يَا دَهْرُ أَفِي كُلِّ عَامٍ فِي الْغَلَا فَتَكَّةً بِكُرِّ

رَثْتُهُ فَقُلْنَا إِنَّهَا لَتَمَاضِرُ وَإِنَّ ابْنَ خُلْدُونَ لَمَفْقُودُهَا صَخْرُ⁽²⁾

فأظهر في البيت الأول شدة الفجعة، ثم ذكر في البيت الثاني بكاء ابن خلدون، وصوره بصخر

أخي الخنساء، وصور من يبكيه بالخنساء في بكاء أخيها.

ومنه قوله في قصيدة يمدح فيها المتوكل بن الأقطس: (الطويل)

وَقَدْ نَشَرْتِ مِنْ ذِي الْقُرُوحِ وَخَالَهُ وَعَمَرُو بْنِ كُلْثُومٍ عِظَامًا بَوَالِيَا⁽³⁾

فدو القروح هو امرؤ القيس، وخاله هو المهمل المعروف بالوزير سالم بطل حرب البسوس، وعمرو

ابن كلثوم من زعماء النصرانية، وكلهم من كبار الشعراء، ولا شكّ في أنّ ابن عبدون قد اختار هذه

الشخصيات اختياريًا، فهي من أهم الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي، وكلّ شخصية منها

أبدعت في موضوع شعريّ أو أكثر، فقد تميّزت الخنساء في الرثاء، وعمرو ابن كلثوم وامرؤ القيس

من شعراء المعلقات، والمهمل أول من هلل الشعر.

(1) – وزير من إشبيلية، عاصر ابن زيدون والتقى به عند الوزير أبي بكر بن عمار، وله شعر.

ينظر: المقري التلمساني، نفع الطيب، 3/ 242 – 243.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 137.

(3) – ابن عبدون، م.ن، 194.

ثالثاً: توظيف الموروث النثري في شعر ابن عبدون

تأثر ابن عبدون في بعض أشعاره بالنتثر العربي القديم، الخطب والمقامات والأمثال، ومن ذلك

قوله: (المجتث)

لِلشَّيْخِ عَيْبَةُ عَيْبٍ وَلِلْفَتَى ظَرْفُ ظَرْفٍ⁽¹⁾

فقد أخذ بنصّه من قول بديع الزمان مخاطباً الخوارزمي: "يا هذا لا تقطع فإن شعرك إن لم يكن عيبة عيب فليس بظرف ظرف"⁽²⁾، وهو يعني أنّ الشّرخ قد يتّصف ببعض العيوب، وأنّ الفتى قد يتّصف ببعض مكارم الأخلاق.

ومما أخذ ابن عبدون من خطب القدامى قوله في المديح: (الوافر)

دَعَتْكَ وَمِنْ سَجِيَّتِكَ الْبِدَارُ رُؤُوسٌ أَيْنَعَتْ مِنْهَا ثِمَارُ⁽³⁾

فهو من قول الحجاج بن يوسف في خطبته المشهورة: "إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، كأنني انظر إلى الدماء بين العمائم واللحي"⁽⁴⁾، غير أنّ كلمات الحجاج جاءت للتهديد والوعيد لكل من تسوّل له نفسه الخروج على الأمويين، أمّا أبيات ابن عبدون فهي في المدح؛ إذ هو يقتل كل من يستحق القتل.

ومما تأثر به ابن عبدون الأمثال، فلأمثال قيمتها في حياة المجتمعات الإنسانيّة، وكلّ اللغات الإنسانيّة تزخر بالأمثال التي تصور حياتها، وتعكس ثقافتها وحضارتها، وتعكس كذلك علاقاتها

(1) - ابن عبدون، الديوان، 168. وهو في قلائد العقيان: طرف ظرف، بالطاء في الأولى بالطاء في الثانية.

ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 422.

(2) - الهمداني، كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، 46.

(3) - ابن عبدون، م.س، 135.

(4) - ينظر: البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، 404.

الاجتماعية، ولكن ابن عبدون لم يوظف إلا القليل منها في شعره، ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها المعتمد بن عبّاد:

(البسيط)

وَلَا تَحَلُّ أَنْنِي أَلْفَاكَ مُنْفَرِدًا إِنَّ الْقَنَاعَةَ جَيْشٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ⁽¹⁾

فالشاعر قد قنع بصحبته للممدوح، وهذا عنده كنزٌ كبير. وللدباء والكتّاب في القناعة كلام كثير، منه ما أورده الجاحظ: "والإسراف يُبِيرُ الكثيرَ، ونعمَ الحظُّ القنَاعَةُ، وشَرُّ مَا صَحِبَ المَرْءُ الحسدَ"⁽²⁾، فالقناعة أصل الخير، وقد أنشأ العرب في القناعة الكثير من الأمثال، ومن ذلك قولهم: "ارضَ من العُشْبِ بالخُوصَةِ"، يضرب للحتِّ على الرّضى بالقليل، وقولهم "بُؤْسَى لِمَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْكَفَافِ"⁽³⁾،

(السريع)

ومن الشعر في القناعة قول أبي العتاهية:

الْخَرْقُ شَوْمٌ وَالتَّقَى جُنَّةٌ وَالرَّفْقُ يُمْنٌ وَالقُنُوعُ غِنَى⁽⁴⁾

(البسيط)

وقول المتنبي:

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي⁽⁵⁾

(الطويل)

فالاتّصاف بالقناعة لا يهين المرء، ومنه قول الشافعي:

فَجَرَدْتُ مِنْ غَمَدِ الْقَنَاعَةِ صَارِمًا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِدُبَابِهِ

- غِنِيٌّ بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ⁽⁶⁾

(1) - ابن عبدون، الديوان، 111.

(2) - الجاحظ، الحيوان، 603.

(3) - العسكري، جمهرة الأمثال، 1/ 178.

(4) - أبو العتاهية، الديوان، 7.

(5) - المتنبي، الديوان، 37.

(6) - الشافعي، الديوان، 54.

ومنها قوله في المتوكل:

(الخفيف)

يَرِدُونَ الظُّبَا وَرُودَ القَطَا وَالـ مَمُوتٌ قَدْ غَضَّ بِالقَنَا المَحْطُومِ⁽¹⁾

إذ وظف ابن عبدون في هذا البيت المثل: "لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ"⁽²⁾، فالعرب تضرب المثل في القطا لمن يُهَيِّجُ ويُنَارُ، أو يدفع إلى فعل شيء لا يريد، يقول ابن منظور: "لو تُرِكَ القَطَا لَنَامَ، يضرب مثلاً لمن يَهَيِّجُ إذا تُهَيِّجُ"⁽³⁾، كما يضرب به المثل في شدة اهتدائه، فابن عبدون يوظف المثل في وصف المتوكل بالشجاعة والبطش حين يُنَارُ، فيضرب عدوه ويسوقه إلى الهلاك. ومن الأمثال التي ظهرت في شعر ابن عبدون قولهم: "قد ألقى عصاه"⁽⁴⁾ وذلك في قوله:

(الطويل)

وَعَزَّ عَلَى العَلِيَاءِ أَنْ يُلْقِيَ العَصَا مُقِيمًا بَحَيْثُ البَدْرِ ألقى المَرَّاسِيَا⁽⁵⁾

وهذا المثل يُضرب لمن يقيم بعد سفر أو غيره، فهو كقولهم: "قد ألقى عصاه"⁽⁶⁾.

رابعاً: توظيف الموروث اللغوي في شعر ابن عبدون

ظهرت في شعر ابن عبدون بعض القضايا اللغوية والنحوية، ومن ذلك في شعر ابن عبدون قوله

(الخفيف)

في المتوكل بن الأقطس:

(1) – ابن عبدون، الديوان، 182.

(2) – ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 174/2.

(3) – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قطا.

(4) – ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 447؛ الميداني، م.س، 101/2.

(5) – ابن عبدون، م.س، 195.

(6) – الميداني، م.س، 101 / 2.

ما عَلَى الْبَيْضِ غَيْرَ أَنْ تَدَعَ الْهَاءَ مَ بِهِمْ مِثْلَ الْهَاءِ فِي التَّرْخِيمِ⁽¹⁾

فهو يشير إلى قاعدة من قواعد اللغة، وهي سقوط الحرف الأخير من المنادى المرخم.

ومن ذلك أيضاً قوله في جمع حروف الزيادة: (الطويل)

سَأَلْتُ الْحُرُوفَ الزَّائِدَاتِ عَنِ اسْمِهَا فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ: أَمَانٌ وَتَسْهِيلٌ⁽²⁾

فجمع في عبارة (أمان وتسهيل) الحروف التي تزداد على الأفعال فتكسبها زيادة في المعنى.

المبحث الخامس: توظيف الموروث في نثر ابن عبدون

أولاً: توظيف الموروث الديني

1- القرآن الكريم

وظف الشاعر ابن عبدون الدين الإسلامي في نثره كما وظفه في شعره، فقد ظهر تأثره بالقرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله في رسالة⁽³⁾: " كتابي عن عهدٍ طالَ زمانُهُ، واستطالَ سلطانهُ، ووقفت لا يحرزُهُ حسابٌ، ولا يحصرُهُ كتابٌ، ولا يحويه حدٌّ ولا يجمعهُ، ولا يحصيه ولا يسعه... "،⁽⁴⁾ فهو من وصف نِعَمِ الله، سبحانه، في قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى في وصف كلماته، سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

(1) - ابن عبدون، الديوان، 182.

(2) - ابن عبدون، م.ن، 170.

(3) - لم يذكر ابن بسام المرسل إليه، وكذلك محقق الديوان.

(4) - ابن عبدون، م.س، 196، ابن بسام، الذخيرة، 683/4.

(5) - النحل، 18/16.

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةٌ أُخْرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ⁽¹⁾، فالعصر الذي يصفه الكاتب لا يحصيه

وصف ولا كتاب، ولا يحده حد، فتأثره بكلام الله، سبحانه، عن كلماته التي لا تنفذ واضح بين.

ومن النصوص النثرية التي تأثر بها ابن عبدون بالقرآن الكريم رسالته إلى الفتح بن خاقان واصفًا نثره وشعره، ومن ذلك قوله فيها: "رمانى على فوتٍ من بياني، وقد تولى إحساني وارجحنَّ إحسانك، بعينين، من النظم والنثر نجلاوين... بل أصليين من سحر هاروت وماروت، إذا لمحت النثر قلت: لو نظم هذا لفسد، وإذا تصفحت النظم قلت: لو نثر هذا لتبدد..."⁽²⁾ فهو من قوله تعالى: ﴿

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾⁽³⁾، وهما

ملكان، أنزلهما الله، سبحانه وتعالى، ليعلمنا الناس السحر ابتلاءً لهم، فعصيا الله لما ركب فيهما ما ركب في البشر من غرائز،⁽⁴⁾ وإنما يتمثل ابن عبدون بأثر السحر في الناس، فأثر ما يكتبه من نظم أو نثر يشبه أثر السحر في الناس.

ثم يقول في الرسالة نفسها: "... هل تجد إلا من يمر بين يديك في شخص ضئيل، وينظر من طرفٍ كليلاً...فيرد في الأوهام والأفهام كل لفحة ولو كانت من نار إبراهيم، وتزكد من البصائر الخواطر كل نفحة ولو كانت من الريح العقيم..."، فهو متأثر بالقرآن الكريم، بقصة إبراهيم عليه السلام، حين جمع له قومه الحطب أربعين يوماً، وأوقدوا نارًا عظيمة شديدة اللهب، وألقوه فيها،⁽⁵⁾ قال

(1) - لقمان، 27/34.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 197؛ ابن خاقان، قلاند العقيان، 424-425.

(3) - البقرة، 101/2.

(4) - ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، 138/1.

(5) - ينظر: أبو السعود، م، 76/6.

سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَيْكَلِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَازُ

كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾، فالشاعر يريد تهويل الموقف. وهو متأثر كذلك بقصة عاد

قوم هود عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٢﴾.

وقد ظهرت بعض المعاني الدينية في رسالته إلى يوسف بن تاشفين، يخبره بفتح مدينة شنترين،

فقد بدأها بالحمد والثناء على الله، والصلاة على رسوله الكريم، ، ومما جاء فيها قوله: "... فقد صدع

بتوحيده وجمع على وعده ووعيده، وأوضح الحق وجلّاه، ونصح الخلق وهداه إلا من حقت عليه كلمة

العذاب، وسبقت له الشقوة في أم الكتاب... وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب بأيدينا من صياصبيهم،

نأخذ بأقدامهم ونواصيهم..."، (3) فقد ظهر تأثره بالقرآن في عدة مواضع، إذ تأثر بقوله تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (4)، وتأثر بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (5)، وتأثر بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (6).

(1) – الأنبياء، 68/21.

(2) – الذاريات، 41/51.

(3) – ابن عبدون، الديوان، 200-201.

(4) – الحجر، 94 / 15.

(5) – غافر، 19/39.

(6) – الأحزاب، 26/33.

وتأثر في الرسالة نفسها بالقرآن الكريم في مواضع أخرى، يقول: "ونهدي للفتنا وصدورها رؤوسهم، وإلى لظى وسعيرها نفوسهم، وننقلهم من الشفار اليمانية إلى النار الحامية... فنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين..."، فهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٧٦﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾⁽¹⁾، وإلى قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾⁽²⁾.

وفيها كذلك قوله: "... وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم، بعد أن قدموا من الخضوع صدقة بين يدي نجواهم..." ثم يقول في وصف القلعة التي افتتحوها: "... فروعها فوق الثريا شامخة، وعروفتها تحت الثرى راسخة ثباهي بأزهرها نجوم السماء..."، فالجزء الأول أخذه ابن عبدون من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْمُ الرَّسُولِ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾⁽³⁾، وموضوع الآية هو تقديم الصدقة بين يدي رسول الله ﷺ، في حين أن موضوع الرسالة هو تقديم هؤلاء القوم الذين خضعوا للمسلمين الجزية للمسلمين بعد فتح مدينة شنترين، وهذا ضرب من التأثر بالنصوص السابقة، وهو ما يُعرف اليوم بالمفارقة؛ لأن الكاتب اللاحق يوظف النص بشكل يخالف وظيفة النص التي أرادها الكاتب السابق، وأمّا الجزء الثاني من النص فهو من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

(1) - القارعة، 101 / 9-10.

(2) - الصافات، 37 / 176-177.

(3) - المجادلة، 58 / 12.

كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾،⁽¹⁾

وهو كذلك ضرب من التناص؛ لأن الكاتب وظف النص في غير ما وضع له ابتداءً.

ومن الموروث الديني القرآني قوله في رسالة إلى الوزير ابن أبي الخصال: (2) "... وأردت أن

أستثير بأضوائك، وأستثير من سمائك نجومًا تهديني في غسق الليل، أو رجومًا تعديني على مُسترق

سَمِعِ الْكَلَامَ..."، فهو وإن كان من قبيل المجاز إلا أنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

الْأُولَىٰ بِمِصْبَاحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾⁽⁴⁾، أي أنه يريد من الوزير الهبات

والأعطيات، فصورها بالنجوم، فإنما كانت رسالته إليه طلبًا لمودته.

ومن تأثر ابن عبدون بالمفاهيم والعقائد الإسلامية في نثره قوله في رسالة إلى الوزير أبي القاسم

ابن الجدي⁽⁵⁾ متوددًا: "... فوددت أن أعارَ جناحي طائرٍ، فأكونَ لكعبةَ ذلكَ الجلالِ أولَ زائرٍ، فأقرنَ

(1) - إبراهيم، 24/14.

(2) - أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال (465-540هـ): وزير أندلسي، شاعر، أديب، يلقب بذي الوزارتين، ولد بقرية (فرغليط) من قرى (شقورة)، وسكن قرطبة وغرناطة، وتفقه وتأدب وله تصانيف عدة.

ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 175؛ الزركلي، الأعلام، 95/7.

(3) - الأنعام، 97/6.

(4) - الملك، 5/67.

(5) - الوزير أبو عبد القاسم محمد بن عبد الله الفهري، شلبي الأصل سكن اشبيلية، ويعرف بالأحذب، كان من أهل التنفن في المعارف والآداب والبلاغة ذا حظ جيد من الفقه والحديث، توفي سنة 415 هـ.

ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 523/3.

حَجَّةَ بَعْمَرَةٍ، وَأَفُوزَ مِنْ عِمَادِي، وَصَلَّ اللهُ عَلَيْهِ بِنَظَرَةٍ، تَوْسِعُ عَيْنِي قَرَّةً وَوَجْهِي نَضْرَةً...⁽¹⁾، فهو يشبه زيارته للوزير بزيارة الحاج للكعبة، والوزير - كما يراه - عنده من الجلال والفخامة ما للكعبة المشرفة، ثم يستخدم مصطلحات الحجّ وهي (المقرن)، لمن يحجّ مقرّناً بين الحج والعمرة، وهم متأثّر بقوله تعالى أيضاً: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽²⁾، والآية تتناول قضية النظر

إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وهو خير ما يحصل عليه المؤمن يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾⁽³⁾، وابن عبدون يريد أن

يحصل في هذه الدنيا على نظرة إلى وجه الوزير، وهو يباليغ في وصفه هذا طالباً مودته والقرب منه.

ويقول في الرسالة نفسها: " ... لقد أظهر بك شرفه وبين، وأخذ منك زخرفة وأزَيْن... "، وهو من

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴿٤﴾﴾.

ومن تأثّره بالقرآن الكريم كذلك قوله في رسالة إلى ابن الجد⁽⁵⁾: " ... وصلني كتاب كريم، طلعت

عليّ منه نُجُومٌ، أَسْتَغْفِرُ اللهُ تَعَالَىٰ بَلْ رُجُومٌ هَوَتْ مِنْ أَسَاطِيرِي عَلَىٰ شَيَاطِينٍ فَأَحْرَقْتَهَا بِنُورِ الْحَقِّ

(1) - ابن عبدون، الديوان، 207؛ ابن بسام، النخيرة، القسم الثاني، 4 / 670.

(2) - القيامة، 22-23 / 75.

(3) - الفرقان، 25 / 74.

(4) - يونس، 10 / 24.

(5) - محمد بن عبد الله بن الجد الفهري، أبو القاسم: مفتي مدينة (بلبة) بالأندلس، سكن إشبيلية، وتقلد وزارة الراضي ابن المعتمد ابن عباد، له شعر ونثر، توفي سنة 415 هـ.

ينظر: ابن بسام، النخيرة، القسم الأول، 2 / 523؛ الزركلي، الأعلام، 6 / 228.

المُبين... وتلقفتها تلقف عصا موسى حبال المُلقين...⁽¹⁾، فابن عبدون يتكلم عن كرم ابن الجدّ ويصفه، ويصف كتابه إليه، فهو كالتجوم أو الشهب التي يرسلها الله على الشياطين التي تسترق السمع إلى أهل السماء، وهو متأثر بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ

مُبينٌ﴾⁽²⁾، وهو يصف تلقفه لكتاب الوزير ابن الجدّ، فصوّره بتلقف عصا موسى عليه السلام حبال

السحرة وعصيهم، وهو متأثر بقوله تعالى: ﴿فَالْقَوَا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ

إِنَّا لَنَحْنُ الْغَلْبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾⁽³⁾، أي أنه

تلقى كتاب الوزير بشوق ولهفة شديدة، فهو حريص على لقاء الوزير والتّقرب منه.

ومن تأثره بالقرآن كذلك قوله في رسالة: " ... فكيفَ وأنا آخذُ من اجْتِبَائِهِ بأَوْفَرِ قِسْمٍ؟ وأضربُ في

وَلَاتِهِ بأَوْفَرِ سَهْمٍ؟! وجهتي خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا...⁽⁴⁾، وهي موجهة إلى قاضٍ لم يذكر اسمه، ولم

يذكره ابن بسام الذي أورد الرّسالة، وهو يطلب منه المثل إلى حضرته، لعله يجد عنده ما لم تعطه

الدنيا، ويصف حاله إذا كان عنده وحاله وهو بعيد عنه، فيصف حاله بتلك الجنة التي أحرقتها الله

سبحانه، حين تعالى صاحبها عليه سبحانه، وقد وردت قصة الجنة في سورة الكهف، وقد أخذ منها

(1) - ابن عبدون، الديوان، 209.

(2) - الحجر، 18 / 15.

(3) - الشعراء، 44-45 / 26.

(4) - ابن عبدون، م.س، 212؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 4 / 682.

ابن عبدون قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾⁽¹⁾.

ومنها قوله: " فلا تظن أن تتصلي لمعذرة أريد قبولها وأحب تبليغها وتوصيلها لا والذي صير العقل لصاحبه خصمًا، وجعل بعض الظن إنمًا، ولا قصدت من قصدت إلا تطوعًا..."،⁽²⁾ فهو من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽³⁾،

فابن عبدون يعتذر للقاضي الذي أرسل إليه هذه الرسالة، وينبئه إلى عدم الظن به سوءًا، فبعض الظن إثم، فتأثره بهذه الآية بيّن واضح.

ومن ذلك أيضًا قوله في رسالة إلى ابن الجدّ: "... فمن رام الصعود إلى السماء زلّ، أو المكائنة بالهباء قلّ، أو المظاهرة على الرؤساء ذلّ، وبين يدي نجواي صدقة على الكاتب أقدمها..."،⁽⁴⁾ فهو من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ

نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾⁽⁵⁾.

(1) – الكهف، 42 / 18.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 214-215؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 4 / 681.

(3) – الحجرات، 12/49.

(4) – ابن عبدون، الديوان، 210-211، ابن بسام، م.س، القسم الثاني، 4 / 675.

(5) – المجادلة، 12 / 58.

2- الحديث الشريف

تأثر ابن عبدون بالحديث الشريف لفظاً ومعنى وأسلوباً وتصويراً، في عدة مواضع في نثره، ومن ذلك قوله في رسالة إلى ابن الجذّ السابقة: "... يا أعظم من لو سريتُ بأنوارِهِ لَاهْتَدَيْتُ، وَأَفْحَمَ مَنْ لَوْ اقْتَدَيْتُ بِهِ اهْتَدَيْتُ..."، (1) فقد أخذ من قول الرسول ﷺ: [أَصْحَابِي كَالنَّجْمِ بَأْيَهُمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ] (2).

ومن تأثره بالحديث الشريف أيضاً قوله: " سلامٌ على من نظرَ بقلبه لا بعينه، وحكمَ بيقينه لا بظنه، ونطقَ بعقله لا بهواه، وأخذَ من دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ..."، (3) فتأثر بالمفاهيم الدنيوية، كتحكيم العقل، وعدم الأخذ بالظن، وعبارته الأخيرة من قوله ﷺ: [لِيَأْخُذَ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمَنْ الشَّبِيهَةَ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمَنْ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ] (4).

ومنها رسالته إلى يوسف بن تاشفين، يخبره بفتح مدينة شنترين، ومما جاء فيها قوله: "ونهدي للقلنا وصدورها رؤوسهم، وإلى لظى وسعيرها نفوسهم، وننقلهم من الشفار اليمانية إلى النار الحامية... فنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين..." (5)، فهو يشير إلى الحديث الشريف: [الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين]، والحديث في يهود خيبر. (6)

(1) - ابن عبدون، الديوان، 210-211؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 4/ 674.

(2) - ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، 310/3، رقم الحديث 6009.

(3) - ابن عبدون، م.س، 214؛ ابن بسام، م.س، القسم الثاني، 4/ 680.


هذه الرسالة في العتاب، ولم يذكر ابن بسام مناسبة هذا العتاب ولا المرسل إليه.

ينظر: ابن بسام، م.س، القسم الثاني، 4/ 680.

(4) - ينظر: القضاعي، مسند الشهاب، 425/1، رقم الحديث 739 .

(5) - ابن عبدون، م.س، 201.

(6) - ينظر: البخاري، صحيح البخاري، 221/1، رقم الحديث 585.

والجملة الأخيرة من الحديث من قوله تعالى: ﴿ أَفِعْذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾  فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ

فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ⁽¹⁾، في تهديد المعرضين عن دين الله سبحانه.

وتأثر في الرسالة نفسها واصفاً هزيمة العدو بالحديث الشريف، وذلك في قوله: " فترد جيوشنا عليهم خفافاً وتصدر إلينا ثقلاً، فتملأ صدور الأعداء أوجالاً... " ⁽²⁾، فهو متأثر بقول الرسول ﷺ في التوكل على الله في طلب الرزق: **إِلَّوْ أَنْكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**⁽³⁾، غير أن الحديث الشريف في التوكل على الله سبحانه في طلب الرزق توكلًا حقًا، ورسالة ابن عبدون في وصف ما غنمته جيوش المسلمين من الصليبيين.

(1) – الصافات، 177/37.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 202.

(3) – ينظر: ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، 439/1، رقم الحديث 337.

3- توظيف التوراة

لم يتأثر ابن عبدون في نثره وشعره بالتوراة إلا في موضع واحد، هو قوله في رسالة إلى الوزير ابن أبي الخصال: " ... لولا تَنفيسُ الرَّحِيمِ عَنْهُ بِكَرَمِهِ، فَوَالَّ إِلَى رِبْوَةٍ مِنْ رُبَاهَا، وَسَأَلَ جِبَالَ فَارَانَ عَنْ مَهَبِّ صَبَاهَا؛ لِيَلْتَقَطَ مِنْ أَنْفَاسِهَا بوساطة نجد، بَرْدًا يُهْدِيهِ إِلَى حَرِّ الْوَجْدِ...⁽¹⁾، وفاران اسم مكة في العبرية، اسم جبالها⁽²⁾. وقد جاء في سفر التثنية: "هذه البركة التي بارك بها موسى رجلُ الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرَّبُّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس..."⁽³⁾.

ثانياً: توظيف الموروث التاريخي

تأثر ابن عبدون في نثره بالموروث التاريخي؛ أحداث التاريخ وشخصياته، وقد ظهر هذا التأثير في مواضع عدّة، منها قوله في رسالة إلى الفتح بن خاقان واصفاً نثره وشعره: "... وقابلتني من كتائب الكتّابة، ومقانب الخطابة بطفيلها وبابنه عامر قائد خيلها، وبأبي براء ملاعب استنيتها، وبابن الصّماء صاحب أعتتها، ودريدها يُمن نقيبه، ورُفرها كثرة قعدة منها وكتيبه..."⁽⁴⁾ فقد وظف ابن عبدون هذه الشخصيات المشهورة في التاريخ العربي، فطفيل هو طفيل الغنوي⁽⁵⁾، وأبو البراء هو

(1) - ابن عبدون، الديوان، 204.

(2) - ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 4/225؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة فأر.

(3) - التوراة، سفر التثنية، الإصحاح 1-2/33.

(4) - ابن عبدون، م.س، 204.

(5) - هو طفيل الغنوي، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وقد عُرف بطفيل الخيل لكثرة وصفه لها، وهو فارس شاعر، وسمي المحبر لحسن وصفه، عاصر النابغة الجعدي، ومات بعد مقتل هرم بن سنان سنة 13 ق هـ.

ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 15/338؛ الزركلي، الأعلام، 3/228.

عامر بن مالك،⁽¹⁾ وزفر هو ابن الحارث الكلابي⁽²⁾، وعامر هو ابن طفيل الغنوي، ودريد هو دريد ابن الصّمة الشّاعر المشهور.

وقد أشار في الرّسالة ذاتها إلى قُسّ بن ساعدة الإياديّ، الخطيب الجاهلي المشهور، المعروف بالبلاغة والفصاحة⁽³⁾، وإلى زرقاء اليمامة، وقد اشتهرت بحدّة بصرها،⁽⁴⁾ وسحبان بن زفر الوائليّ، وهو خطيب يضرب به المثل في البيان⁽⁵⁾، يقول ابن عبدون: " ... وإِنَّه لأبصر من قُسّ وسحبان، وإِنَّه لأبصر من زرقاء اليمامة بعسكر حسان...".⁽⁶⁾

ومن تأثره بالموروث التّاريخيّ قوله في رسالة إلى يوسف بن تاشفين بعد فتح مدينة شنترين في وصف قلعتها: "... وكانت في الزّمن الغابر أعيّت على عظيم القياصر... ومردت مُرودَ مارِدٍ على الرّزّا فأمكننا الله من دروتها...".⁽⁷⁾ فابن عبدون يشير إلى الرّزّا، وهي زنوبيا ملكة تدمر، ويقال:

(1) - من فرسان قيس في الجاهليّة وأبطالها، وسمي ملاعب الأسنّة، أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يثبت إسلامه، توفي نحو سنة 10هـ.

ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 599/3؛ الزركلي، الأعلام، 3/255.

(2) - سبق الحديث عنه في الصفحة 44 من هذه الرسالة.

(3) - قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أحد حكماء العرب وخطبائهم، كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربيّ خطب متوكّناً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه " أما بعد "، وكان يفد على قيصر الروم فيكرمه، طالبت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، توفي نحو سنة 23 ق هـ.

ينظر: ابن حجر، م.س، 551/5؛ الزركلي، م.س، 5/196.

(4) - زرقاء اليمامة، وهي من بني جديس، وسميَتْ بزرقاء لزرقة عينها، واشتهرت بحدّة بصرها.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/49؛ الزركلي، م.س، 3/44.

(5) - ينظر: ابن حجر، م.س، 3/250؛ الزركلي، م.س، 3/79.

(6) - ابن عبدون، الديوان، 198.

(7) - ابن عبدون، م.ن، 203.

إنها قصدت حصني مارد والأبلىق فاستعصيا عليها رغم قوتها،⁽¹⁾ فهو يريد أن يقول ليوسف بن تاشفين مادحًا: إنَّ هذه القلعة كانت قوية جدًا إلا أنهم تمكّنوا من فتحها.

ثالثًا: توظيف الموروث الأدبي

تأثر ابن عبدون في نثره بالأدب العربي، وبمن سبقه من الشخصيات الأدبية العربية، ومن الشخصيات الأدبية المعروفة التي وظّفها الجاحظ، يقول في رسالته إلى الفتح بن خاقان: "... ولولا تَمَرِيثُ الزَّمَانِ بِذِكْرِهِ، وتَلْوِيثُ الأَوَانِي بِقَبَائِحِهِ لِأَرِيئِكَ مِنْ حَظْلِهِ وَزَلَلِهِ، مَا يُضْحِكُ التَّكَلِّي، وَيَسْتَدْرِكُ بِهِ الْجَاحِظُ بَابَ التُّوكَى"،⁽²⁾ فهو يشير إلى رجل ذي كتابة سيئة مشوهة بكثرة الأخطاء، فأدبه ضعيف مضحك، لو رآه الجاحظ لجعله في باب الحمقى، ويقارن بينه وبين رجل يمدحه بجودة أدبه، يسميه أبا يحيى.

ويوظف في الموضع نفسه شخصية زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي المعروف، يقول ابن عبدون: "... أَلْحَقَ اللهُ ثَانِيَةَ ابْنِ أَبِي سُلْمَى أَهْلَ مَلَّتِهِ فَلَقَدْ انْتَفَعَ السَّلْفُ وَالْخَلْفُ بِحِكْمَتِهِ، وَنَادَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَأَسْمَعَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ، وَكَأَنَّهُ مَا عَنَى غَيْرَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ هَذَا

الأول: (الطويل)

وَذِي حَظْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلْمَمُ بِهِ فَهُوَ غَيْرُ قَائِلِهِ
عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مُقَاتِلُهُ"⁽³⁾

(1) – ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 1/ 365-368؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، 216/8.

(2) – ابن عبدون، الديوان، 198-199.

(3) – ابن عبدون، م.س، 198-199، وبيتنا الشعر في ديوان زهير، 90.

فهذا من حِكْمِ زهيرٍ في ذي الخطل، أي فاسد الرأي، فقد أعد له زهير حلمه ليواجهه به.

ومن الموروث الشعريّ الذي وظفه ابن عبدون في نثره بيت للمعري:

(الوافر)

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فَعانِدُ من تُطيقُ لَهُ عِنادا⁽¹⁾

فأخذه ونثره في قوله في رسالته إلى ابن أبي الخصال: " ونشد قول أبي العلاء بن سليمان شاعر

معرفة النعمان (أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا)...".⁽²⁾

ومن الموروث الأدبي في نثره كذلك قوله: "... وقد علّت الإنسانُ أبهةَ الكبير، ووَحَطَتْهُ واعظَةٌ

القَتِيرِ، وردَّ ما استَعَارَ منَ الشَّبَابِ إلى المُعِيرِ، وهَجَرَ كلَّ الهَجْرِ منَ ذاقَها شَمِيمًا، ورَفَضَ كلَّ

الرَّفَضِ منَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا على الحَدِيثِ نَدِيمًا..."⁽³⁾ فهو من قول الحسن بن هانئ أبي نواس في

(الخفيف)

الخمير:

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لَوْما لا أَدُوقُ المُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا

- فاصْرِفَاها إلى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا على الحَدِيثِ نَدِيمًا⁽⁴⁾

ومنها قوله في النَّصِّ نفسه " ... فكيف اهتزازه، وزاد الله في عليائه، وفي دنو مجلسي من

سمائه؟..."

إلى كلفِ بذكره مُعْنَى يهيمُ بهِ ولا قيسَ بلبني⁽⁵⁾

(1) - المعري، الديوان، 25.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 206.

(3) - ابن عبدون، م.ن، 214؛ ابن بسام الذخيرة، القسم الثاني، 680 / 4 - 681.

(4) - أبو نواس، الديوان، 29.

(5) - ابن عبدون، م.س، 216.

فهذا البيت - وهو من الوافر - جعله ابن عبدون في نصه النَّثْرِيّ، مقارنًا بين عشقه لهذا القاضي وعشق قيس للبنى، ويقرر أنّ حبه للقاضي أشدّ وأعظم من حبّ قيس لمعشوقته؛ ولذلك فهو يتمنّى أن يبقى قريبًا من مجلسه، فابن عبدون يوظف هاتين الشخصيتين الأدبيتين المشتهرتين في تاريخ الأدب العربي بشدّة العشق ليعبر بهما عن مشاعره.

ومن الشخصيات الأدبية التي وظفها ابن عبدون في نثره: عبيد بن الأبرص، ولبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت، وشبيب بن شيبه⁽¹⁾، وأبو العتاهية، وأبو تمام، والمغنيّ مخارق،⁽²⁾ والبحتري، وجمع إليهم الصحابي الجليل خالد بن الوليد، وذلك قوله في رسالة إلى ابن أبي الخصال: "... فإنّ سَمَحَ عَمَادِي بِالْجَوَابِ وَرَجَعِهِ، غَالِبْتُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ لَدِيَّ وَوَصَلَ إِلَيَّ الْحَمَامَ فِي سَجَعِهِ، وَالْأَنْصَارَ فِي حَسَانِهَا، وَالْأَعْصَارَ فِي نِسْيَانِهَا، وَطَبِئًا فِي حَبِيبِهَا، وَسَعْدًا فِي خَالِدِهَا وَشَبِيبِهَا وَخَرَقْتُ بِمَا أَعَارَ مِنْ مَرَاكِحِ وَأَثَارِ مِنْ أَرْتِيَاكِ، جَيْبَ مَخَارِقِ طَرَبًا، وَلَمْ أَدْعُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الْمَغْرِبِ وَخَفِيفِهِ الْمُطْرِبِ أَرْبًا، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَنْ أَغَارِيدِ عُبَيْدٍ، وَأَضْرَبْتُ صَفْحًا عَنْ أَنَاشِيدِ لَبِيدٍ..."⁽³⁾ فالرسالة في طلب المودة، وابن عبدون يقول للوزير: إنّه إن أعطاه وقرّبه فإنه سيكتب فيه القصائد الخالدة التي تبقى على مرّ الزمان فلا تطويها العصور والأزمان، تفوق في فصاحتها وبلاغتها ما كتبه عبيد بن الأبرص ولبيد

(1) - شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي، أبو معمر، من أهل البصرة، أديب الملوك وجليس الفقراء، وأخو المساكين، كان يقال له (الخطيب) لفصاحته، وكان شريفًا، ينادم الخلفاء، توفي سنة 170 هـ.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 458/2؛ الزركلي، الأعلام، 3/ 156.

(2) - أبو المهنا ابن يحيى الجزار، ميخائيل بن جرجس، الملقب مخارق، إمام عصره في فن الغناء، ومن أطيب الناس صوتًا، توفي سنة 231 هـ.

ينظر: ابن خلكان، م.س، 2/ 458؛ الزركلي، م.س، 7/ 191

(3) - ابن عبدون، الديوان، 204 - 205.

وحسان بن ثابت وأبو تمام وشيبان بن شيبان وأبو العتاهية، وستفوق في رقة ألفاظها وعذوبة موسيقاها غناء مخارق المغني المشهور، بل إنه سيتفوق على تلك البطولات التي سجلها خالد بن الوليد في كل المعارك التي خاضها وانتصر فيها.

رابعاً: توظيف الموروث الأسطوري

لم تظهر الأساطير في نثر ابن عبدون إلا قليلاً؛ ولعل سبب قلتها عقيدته الإسلامية التي تحارب الأساطير، ومن هذه الأساطير التي ظهرت في نثره أسطورة زرقاء اليمامة، وقد ذكرت في التاريخ على أنها امرأة حقيقية، كانت ذات بصرٍ حادٍّ عميقٍ، يقول ابن عبدون: " دع ذا وعدّ القول في هرم هذا الزمان، معلي هم الأعيان... وإِنَّهُ لأَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ بَعْسَكَرِ حَسَّانٍ... " (1) وهو يصف الفتح بن خاقان مادحاً، فقد جاءت هذه العبارة في رسالة إليه يطلب مودته وقربه.

وقد كرر ذكرها في رسالة إلى ابن أبي الخصال فقال: " ...إِنِّي لَأَنْظُرُ مِنْ فُلَانٍ بِأَحَدٍ مِنْ نَظَرِ الزَّرْقَاءِ، إِلَى أَجَلٍّ مِنْ خَطَرِ الْعَنْقَاءِ، وَيَنْشُدُ قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ سُلَيْمَانَ شَاعِرِ مَعْرِةِ النُّعْمَانَ (أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا)... " (2)، والعنقاء طائر لم يره أحد، وقيل: في قوله تعالى "طيراً أبابيل" هي عنقاء مُعْرِية، (3) فالعنقاء طائر أسطوري يُضرب به المثل، فقيل في المثل: (حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءٌ مُعْرِيةً)، يضرب لما يُئس منه (4)، وقيل في المثل أيضاً: (طارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ)، ويقال: إِنَّهُ كَانَ لِأَهْلِ الرَّسِ

(1) - ابن عبدون، الديوان، 198.

(2) - ابن عبدون، م.ن، 206.

(3) - العنقاء طائر أسطوري عظيم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عنق.

(4) - ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 201/1، رقم المثل 1060.

نبيّ، وكانت العنقاء تؤذي القوم، فسألوا نبيهم أن يخلصهم منه، فدعا عليه النبي أن يهلكه الله، ويقطع نسله، فأصابته صاعقة أهلكته⁽¹⁾.

ويكرر ابن عبدون ذكرها في الرسالة نفسها فيقول: " وإن أفسمتُ من بعضِها بيمينٍ لا أتلقَى رايئها بِشمالٍ ولا يمينٍ أن اسمي في البلغاءِ والفهماءِ، كاسمِ العنقاءِ في الأسماءِ، اسمٌ ما وقعَ على مُسمّى..."، فهو يؤكد أنه متفوقٌ على غيره من البلغاءِ والفصحاءِ، وأنه كالعنقاء بين الطيور، لا يشبهه أحد ولا يجاربه ولا يقاربه.

خامساً: الوصايا والحكم

ظهرت بعض الحكم في نثر ابن عبدون، ومن ذلك قوله في رسالة ابن الجد: "... فقبَّحَ اللهُ العَجَلَةَ فما أسوأ آثارها، وأكثر عثارها، وأكبر سنارها، وأوحش غلطها، وأفحش سفظها، وقديماً تحامنها الحكماء وتبادرتها العقلاء، من ركبها لم ينح، لو أُقيلَ من عثارٍ، ومن صحبها لم يخل، لو قُبِلَ، من اغتذارٍ..."⁽²⁾، فهو يحذر من التعجل في الأمور، وينذر عواقب العجلة ومساوئها وأضرارها، ولا يُساعد من أخطأ بسببها ولا يُقبل عذره.

فقد كثر الحديث عن العجلة ومساوئها عند المتقدمين على ابن عبدون، ومن ذلك ما رواه أبو الفرج عن امرأة تدعى عائشة بنت سعد، وكانت قد أرسلت "رجلاً ليجيئها بناً"، فخرج لذلك فلقي عيراً

(1) - ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 429/1، رقم المثل 2264.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 211.

خارجًا إلى مصر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة، رجع فأخذ نارًا، ودخل على عائشة وهو يعدو، فسقط وقد قرب منها، فقال: تعست العجلة⁽¹⁾

سادسًا: الأمثال

وظف ابن عبدون بعض الأمثال في نثره في مواضع قليلة، منها قوله في رسالة إلى الفتح ابن خاقان واصفًا نثره في رسالته إليه: " ...لقد نشرتُ عليه ثوب إحسان، تقصر عنه صنعة سحبان، وإنه لأبصرُ بكرامة الضيفان من زرقاء اليمامة بعسكرِ حسان...⁽²⁾، فزرقاء اليمامة مضرب المثل في حدة البصر، وقد قيل فيها في المثل: "أبصرُ من زرقاء اليمامة"⁽³⁾، وحسان هو حسان بن نُبُع الحميري⁽⁴⁾، فهو يوظف المثل ليرفع من شأن نثره وأدبه.

ومن الأمثال التي وظفها ابن عبدون أيضًا: " قد أنصفَ القارةَ من راماها "⁽⁵⁾، والقارة: قبيلة وسُموا قارة لاجتماعهم والتفافهم، وهم رُماة الحدق في الجاهلية، ويقال: إنَّ رجلين التقيَا، أحدهما قاريٌّ فقال: إن شئت صارعتُكَ، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتُكَ، فقال الآخر: قد اخترت المراماة، فقال القاريُّ: قد أنصفتي، ثم قال: قد أنصفَ القارةَ من راماها "⁽⁶⁾، وقد أشار إليه ابن عبدون في قوله: " ...وطالبتُ بلُغاءِ العصرِ بالمتلِ المصروبِ في جمل مصر، وقلت: هذه القارةُ قرأموها

(1) - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 17/ 280.

(2) - ابن عبدون، الديوان، 197.

(3) - الميداني، مجمع الأمثال، 1/ 114.

(4) - ملك ذو همة عالية، كان أحول أعسر شديد البطش، أراد أن يغزو جديس قوم الزرقاء، ولكنها أبصرتهم من مسافة بعيدة، ذكر له صاحب الأغاني شعرًا.

ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 22/ 317 - 318؛ الزركلي، الأعلام، 3/ 44.

(5) - الميداني، م.س، 2/ 100.

(6) - ينظر: الميداني، م.ن، 2/ 100.

وَأَنْصِفُوا"⁽¹⁾، كأنه يريد أن يقارن بين ما يكتبه وما كتبه السابقون، وهو متيقن أنه سيسبقهم ويتفوق عليهم.

ومنها قوله المشار إليه في الحديث عن الحكمة: "... فَتَبَّحَ اللهُ الْعَجَلَةَ فَمَا أَسْوَأَ آثَارَهَا"⁽²⁾، فهو من قولهم في المثل: تعسّت الندامة⁽³⁾، فهو يريد أن يذمّ التعجل في الأمور وينصح الناس بالابتعاد عنها، ويأمرهم بالتريث والتأني.

يتبين لنا أنّ ابن عبدون لم يوظّف إلا عدداً قليلاً من الأمثال في نثره، غير أنّ هذا التوظيف جاء متكاملًا من النص في مضامينه، وهو من مظاهر الجمال الفني في نثر ابن عبدون.

(1) – ابن عبدون، الديوان، 206.

(2) – ابن عبدون، م.ن، 211.

(3) – الميداني، مجمع الأمثال، 139/1.

الفصل الثالث

التشكيل الفني في الموروث الأدبي عند ابن عبدون

أولاً: الصورة الفنية

1- الصورة الفنية في شعر ابن عبدون

2- الصورة الفنية في نثر ابن عبدون

ثانياً: الموسيقى الشعريّة

1- الموسيقى الخارجيّة

2- الموسيقى الداخليّة

ثالثاً: الظواهر اللغوية الشعريّة والنثريّة

رابعاً: بناء النصّ في أدب ابن عبدون

1 - بناء النص في قصيدة ابن عبدون

2 - بناء النص في نثر ابن عبدون

الفصل الثالث

التشكيل الفني الموروث في أدب ابن عبدون

لكلّ شاعرٍ أسلوبه الذي يميّز به في نظمه نصّاً شعريّاً أو نثريّاً، ولابن عبدون أسلوبه الخاصّ به، وله من المزايا ما أظهر فيه من التّجديد والإبداع، غير أنّ له الكثير من الجوانب الموروثة في الشّكل الفنّي لنصوصه الشعريّة والنثريّة، من حيث الصورة، والموسيقا، واللغة الشعريّة، وطريقة بناء النّصّ، وهذا ما سأحدث عنه في هذا الفصل.

أولاً: الصّورة الفنيّة

تشكّل الصّورة ركناً رئيساً ومهمّاً من أركان العمل الأدبي، وتزيد من قيمته الفنيّة بما تحدّثه من أثرٍ في نفس المتلقّي، كما أنّها تساعد الشّاعر على التّعبير عمّا في نفسه، وتقوي العلاقة بين الشّاعر والمتلقّي.

وتؤدّي الصّورة الشعريّة دوراً مهمّاً في الشّكل الجمالي، وفي التّعبير عن المعاني، وتساهم في إيجاد وحدة عضويّة بين أجزاء القصيدة، والصّورة في أبسط معانيها رسمٌ قوامه الكلمات، لها مقوماتها من وصف وتشبيه واستعارة، وقوة الصّورة وفعاليتها هي التي تتحكم بالمعاني والمشاعر. والقصيدة تقدّم مجموعة من الصّور تترايط مكوّناتها مفردةً أم مركّبةً أم متشعّبة، فتخرج القصيدة مترابطة متكاملة تجري على نسق⁽¹⁾.

¹ - ينظر: الديك، نادي ساري، ما قالته غزّة للبحر، 73-74.

والصورة الشعريّة هي الشكّل الفنّي الذي تتّخذة الألفاظ والعبارات التي ينظمها الشّاعر في سياق بيانيّ للتعبير عن التجربة الشعريّة، موظّفًا كل طاقات اللغة والإيقاع والحقيقة والمجاز والفنون البديعية⁽¹⁾، وهي عنصر أساسيّ في الشّعر يوازي عنصر الوزن والإيقاع⁽²⁾، بل هي العنصر الأهم؛ فهي أحد أهم مقومات الشّعر الفنيّة؛ إذ تساعد في الكشف عن تجربة الأديب ومشاعره، وهي من أهم المقومات والمعايير التي يُقاس بها الإبداع عنده، فلا تكتمل الدراسة النقدية إلا بتحليل صورته التي وظّفها في عمله الأدبي⁽³⁾.

فالصورة الفنيّة هي إحدى أهم الأدوات التي يوظّفها الأديب في بناء القصيدة، وتجسيد رؤيته، فبها يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواتمه، وبها يكشف عن معانيه⁽⁴⁾، وعلى ذلك فالصورة هي الأداة التي يوظّفها الشّاعر في تصوير عالمه، فكره ومشاعره، ويقدر موهبته وقدرته على الإبداع يُحسّن توظيفها في رسم معالم هذا العالم.

لقد لقي مصطلح الصورة من العناية عند اللغويين والبلاغيين ما لقي، وهي لغة حقيقة الشيء وهيئته وصفته⁽⁵⁾، وهي في الاصطلاح تجسيد الأحاسيس والأفكار المجردة بشكل حسّي، معتمدة على الخيال والمجاز كالتشبيه والاستعارة والكناية، ولعلّ أول من أشار إلى الصورة الجاحظ في قوله: "وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع

1 - ينظر: محمد، الولي، الصورة الشعريّة في الخطاب البلاغي والنقدي، 19.

2 - ينظر: محمد، الولي، م. ن، 152.

3 - ينظر: عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 212.

4 - ينظر: زايد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، 65.

5 - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صور.

وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير⁽¹⁾، فالشعر صناعة، نسج وتصوير، وهذا يكون - في رأيه- بقوة التركيب وحسن صياغته. وهي عند عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنّ قولنا: الصورة إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نَعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بين إنسانٍ من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم، وسوارٍ من سوارٍ بذلك. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك"⁽²⁾، فهو يربط بين واقع الأشياء المحسوسة والمعنى الاصطلاحي، أي بين الصورة المحسوسة والصورة العقلية؛ ليوضح علاقة الصورة بالمعنى، فصورة الشيء الواحد من جنس ما تميّزه عن أفراد جنسه كالإنسان والفرس، وكذلك الصورة في الأدب والشعر، فالصورة في بيت من شعره ترسم في عقولنا الأشياء التي نراها، وهي مختلفة بين بيت وآخر.

وأما القاضي الجرجاني، فقد بين المحسوس من جهة وبين الشعور وأثر الصورة في النفس من ناحية أخرى حين قال: "وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحُسن، وتستوفي أوصاف الكمال،

1 - الجاحظ، الحيوان، 132/3-133.

2 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، 368-369.

وتذهب في الأنفس كل مذهب⁽¹⁾، ومن الذين عنوا بالصورة ابن رشيق، فقد فصل الحديث عن الاستعارة والتشبيه والتّمثيل والإشارة (ومنها الكناية)، وجعل الاستعارة أفضل البيان⁽²⁾.

وتتكون الصورة من عدة أركان تعمل على تشكيلها، ولا تتم الدراسة النقدية للنص إلا بها، منها الخيال والعاطفة، بهما يمكن تحديد أبعاد الصورة ومعانيها، فالعاطفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصورة، إذ تساهم الصورة في تجسيد التجربة الشعورية التي مرّ بها الشاعر، فإن كانت التجربة الشعورية صادقة كانت العواطف صادقة مؤثرة في خيال الشاعر وملهمة له⁽³⁾. وأمّا الخيال فهو القوة الخلاقة التي تنتج الصورة، به يخلق الشاعر وراء الواقع متجاوزاً كلّ حدّ، وهو الملكة التي تمكن الفنان من تكوين صور ذهنية لما غاب عن الحس، ولا تقف عن مجرد استرجاع تلك المحسوسات، بل تتعداها إلى تشكيل غير المحسوس وتجسيده، وهذه القوة هي التي تميز الفنان المبدع عن الآخرين؛ ولهذا فقد اهتم به القدامى والمحدثون⁽⁴⁾، ومن أركان الصورة كذلك اللغة والتراكيب والموسيقا، وما تشتمل عليه من إيقاع، ووزن، وقافية، وألوان، وغير ذلك⁽⁵⁾.

فالصورة هي التشكيل النهائي لكل ما يتحرّك في ذهن الأديب، وهي تعكس ما يراه الشاعر في الواقع الخارجي، فأصبحت الصورة والواقع شيئاً واحداً يصعب الفصل بينهما، والشاعر هو الذي يقوم بترتيب الأفكار والأجزاء والخطوط والألوان حتى يكتمل بناء الصورة، والشاعر الواعي المدرك للعمل الشعري لا يقوم بحشو صورته حشواً؛ لأن هذا يؤدي إلى الضعف الفني، بل هو يختار كل ما هو

1 - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 342.

2 - ينظر: ابن رشيق، العمدة، 1/ 435، 439، 450، 502.

3 - ينظر: بنت مصلح، صلوح، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، 218-219.

4 - ينظر: عصفور، جابر، الصور الفنية في التراث النقدي، 13؛ بنت مصلح، صلوح، م.س، 234.

5 - ينظر: الديلمي، سمير علي، الصورة في التشكيل الشعري، 27.

مناسب ومتميز لإخراج عمله الفني متكاملًا⁽¹⁾، معتمدًا في ذلك كله على المجاز، وهو الأسلوب الذي يقارن فيه الأديب بين عناصر الصّورة التي يستقيها من الواقع للتعبير عن أفكاره⁽²⁾. وتكمن أهميّة الصّورة بما تحدثه من خصوصيّة وتأثير في المتلقّي بشكل لا تحدثه الحقيقة، وهذا ما أعطى المجاز خصوصيّة، وجعله عند كثير من النّقاد أهمّ من الحقيقة⁽³⁾، وهذا ما جعل الجرجاني يقول في بيان أهميّة الاستعارة: "... فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية باديةً جليّةً ... وتجد التشبيهات على الجملة غير مُعجبةٍ ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفّت الأوصاف الجسمانيّة حتى تعود رُوحانيّة لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها ..."⁽⁴⁾، وهو يقصد أنّها تساهم في تشخيص المعاني وتجسيدها والباسها ثوب المحسوس.

والصّورة الفنيّة الموروثة عند ابن عبدون عنصرٌ أساسيٌّ مهمّ، وركنٌ من أركان شعره، وواحدة من أهم وسائله في التعبير عن مشاعره وموضوعاته، فقد جاءت قصائده مليئةً بالصور الفنيّة خاصة تلك التي تقوم على الاستعارة، ولعلّ كثرة رحلاته في بيئة الأندلس، واتصاله بأولي الأمر فيها كان له بالغ الأثر في نموّ صورته الأدبية بشكل يدلّ على سعة خياله.

وسأتناول في هذه الدّراسة الصّورة الفنيّة الموروثة في شعر ابن عبدون ونثره:

1 - ينظر: الديلمي، سمير علي، الصّورة في التشكيل الشعري، 23، 57.

2 - ينظر: اليافي، نعيم، مقدمة لدراسة الصّورة الفنيّة، 46.

3 - ينظر: عصفور، جابر، الصور الفنيّة في التراث النقدي، 324.

4 - الجرجاني، أسرار البلاغة، 43.

1- الصورة الفنيّة الموروثة في شعر ابن عبدون

لقد اهتم ابن عبدون بالصّور الفنيّة في شعره، فجاءت في غاية الجمال والإتقان، وله صور خاصّة جديدة متقنة الصّناعة، وفي ذات الوقت هناك كثيرٌ من صوره من الموروث الأدبي الذي سبق ابن عبدون، وهي في الوقت ذاته مستمدّة من البيئة التي عاش فيها، فهو يصف الممدوح بالكرم، فصوره بالبحر، ولا يُسدّ بابه في وجه ذي حاجة، وصور عطاءه بالمطر⁽¹⁾، وهو كناية عن الكرم والعطاء، فلا يمنع أحد من دخول بابه، ووصفه بالقوة والشّجاعة فصوره بالسّيف⁽²⁾، ووصفه بالعزيمة والمجد والسؤدد وعلو المكانة، وصوره بالجبال الرّواسي في القوّة والعلوّ والثّبات⁽³⁾، وبالشمس والقمر في الإشراق⁽⁴⁾، وصوره بالغيث والماء⁽⁵⁾، ووصفه بالبلاغة والفصاحة، فصوره ببحر الفصاحة⁽⁶⁾، وهو يوظف الصّور البيانيّة في التّعبير عن هذه المعاني، وقد تأثّر ابن عبدون في صوره هذه بمن سبقه.

ويرى سليم التّثير محقّق ديوان ابن عبدون أنّه تأثّر كثيرًا بالمتنبّي في صوره ومعانيه، وبامرئ القيس وبشار بن برد، وأبي العتاهية، وأبي تمام، وابن الرومي، وإسحاق الموصلي، والمعري⁽⁷⁾ وغيرهم، ومن ذلك قوله في عبيد الله بن المعتمد:

(الوافر)

وقد مرقت إليك من الدجى بي أعاريب تخب بها عراب

1 - ابن عبدون، الديوان، 106-107، 119، 120، 136، .

2 - ابن عبدون، م.ن، 106، 119، 122، 135، 177، 179، 182، 183.

3 - ابن عبدون، م.ن، 173، 193.

4 - ابن عبدون، م.ن، 109، 178، 179، 182.

5 - ابن عبدون، م.ن، 110، 115، 174 .

6 - ابن عبدون، م.ن، 173.

7 - ينظر: التّثير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 80-82.

هفت بي والدجى يهفو حشاهُ كما كسرت على خزر عقاب⁽¹⁾

أخذه من قول المتنبي: (الوافر)

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب⁽²⁾

وبيت ابن عبدون - على جمال التصوير فيه - أقل من بيت المتنبي شأنًا⁽³⁾، فما زاد على أن وظف العقاب في صورته، فقد جعل العقاب تنظر من طرف العين احتقارًا، كما مرّ به القوم مرورًا سريعًا احتقارًا، أما المتنبي فقد اعتمد على التشبيه التمثيلي في تصوير الممدوح، فصوّر الجيش يقوده الممدوح، وعلى جانبيه الميمنة والميسرة، بالعقاب وقد نفضت جناحيها، وهو يصفه بذلك بالقوة، ولعل هذا التشابه بين ابن عبدون والمنتبي في الصور والمعاني مردّه تشابه الظروف التي مرّ بها الشاعران من حيث إقبال الدنيا وإعراضها عنهما، وعلاقتهما مع أمراء عصريهما.⁽⁴⁾

ومن تأثره بصور القدامى قوله معتمدًا على التشبيه والاستعارة، مادحًا المعتمد بن عباد: (الكامل)

إنّ الممالك، والسيف شهودُ لكم إماء والملوك عبيدُ

- جادوا فبانّت في البسيطة أنجمٌ وسطوا فثارت في السماء أسودُ

يا روضةً وصف النسيم أريجها رقي علي فإنتي غريد⁽⁵⁾

فشبه في البيت الأول الممالك بالإماء، والسيف بالشهود، والملوك بالعبيد، وفي البيت الثاني شبه آل عباد بالنجوم وبالأسود، وهي استعارات تصريحية تقوم على التشخيص، وفي البيت الثالث شبه

1 - ابن عبدون، الديوان، 108.

2 - المتنبي، الديوان، 381.

3 - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 709/4.

4 - ينظر: التنير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 83.

5 - ابن عبدون، م.س، 123.

المعتمد بروض انتشر أريجها، وصوّر نفسه بالعصفور، وهما استعارتان تصريحتان، وهو متأثر بقول الفرزدق في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري⁽¹⁾:
(الطويل)

إلى ابن أبي موسى الذي سجّدت له جنوحاً على الأيدي ملوك المرازب⁽²⁾

والبيت كناية عن خضوع الملوك له، فأخذه ابن عبدون موظفاً للتشبيه، وهو يوحي بشدّة الإعجاب بالممدوح.

وأما تشبيه المعتمد بن عباد وآله في البيت الثاني بالنجوم فيعني الرفعة وعلو الشان، وهو من قول المتنبي:

(الخفيف)

شرف ينطح النجوم بروقيده وعز يقفل الأجبالا⁽³⁾

وأما وصف ابن عباد بالروض فهو كقول ابن هانئ الأندلسي في المديح:

(الطويل)

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرا وأورد عن رأي الإمام وأصدرا

وما خلّت أن الروض يختال ماشياً ولا أن أرى في أظهر الخيل عبّراً⁽⁴⁾

فكلاهما صور الممدوح بالروض.

(الطويل)

ومن تشبيه الممدوح بالغيث والماء قوله:

وما كان إلا الغيث أقلع جملة فلم يك منه لا غدير ولا زهر⁽⁵⁾

¹ - كان جليلاً، كريماً، مدحه ذو الرمة، وكان فصيحاً بليغاً راويةً للحديث ثقة، ولأه خالد القسري البصرة سنة 109هـ، ولماً ولي يوسف بن عمر العراق، أخذ بلالاً، وعذبه حتى مات سنة 126هـ.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/9؛ الزركلي، الأعلام، 72/2.

² - الفرزدق، الديوان، 62.

³ - المتنبي، الديوان، 409.

⁴ - الأندلسي، ابن هانئ، الديوان، 84.

⁵ - ابن عبدون، الديوان، 137.

وهو كقول الفرزدق في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: (الطويل)

أَبُوهُ أَبُو مُوسَى خَلِيلٌ مُحَمَّدٌ وَكَفَاهُ عَيْثٌ مُسْتَهْلٌ الْأَهَاضِبِ⁽¹⁾

ومن وصف الممدوح بالفصاحة قوله في بني عبد العزيز بقرطبة: (الوافر)

وَمَا عَهْدِي بِنَاسٍ أَيْ نَاسٍ تَوَاصَوْا بِالْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي

بُحُورٌ بِبَلَاغَةٍ وَنُجُومٌ عَزْرٌ وَأَطْوَادٌ رَوَاسٍ مِنْ جِبَالِ⁽²⁾

فصورهم بالبحور في غزارة الفصاحة، وبالتجوم في علو المكانة، وبالجبالي في القوة والثبات، وهو تشبيهه بليغ، فأما وصفهم بالبلاغة فهو متأثر بالسابقين كابن هانئ الأندلسي في قوله في المديح:

(الكامل)

أَهْلُ الْأَصَالَةِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَصَا حَاةٍ وَالنُّهَى وَالْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ

تَمْشِي الْبَلَاغَةُ خَلْفَكُمْ وَأَمَامَكُمْ وَيَطِيبُ مَا تَطْوُونَ بِالْأَفْدَامِ⁽³⁾

فكلاهما وصف الممدوح بالبلاغة، غير أن ابن هانئ جعلها خلف الممدوح، تسير حيث يسير، وهي كناية عن نسبة، وجعلها ابن عبدون بحره.

ومن صورته الموروثة في الرثاء، وصنف المتوفى بالكرم والشجاعة والقوة، ووصف الأيام والذهر

بالغدر، ومن ذلك قوله في رثاء الوزير الفقيه أبي مروان ابن سراج: (البسيط)

يَا نَائِمَ الْفِكْرِ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَفِقْ فَصَبِحْ شَيْبِكَ فِي أَفْقِ النَّهْيِ بَادِي

- لَا شَمْسَ قَبْلَكَ زَادَتْ بِالْغُرُوبِ سَنًا وَاسْتَأْنَفْتِ نَشْرَ أَنْوَارٍ وَأُورَادِ

1 - الفرزدق، الديوان، 61.

2 - ابن عبدون، الديوان، 173.

3 - ابن هانئ، الديوان، 184.

- فَمَا سَمِعْنَا بِبَحْرِ غَاضٍ فِي جَدِّهِ وَكَانَ مَلَأَ الرَّبِّي يَرْمِي بِأَزْيَادٍ⁽¹⁾

فصور الشيب في البيت الأول بالصبح، وهو متأثر بقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾⁽²⁾.

وتأثر في البيت الثاني بقول ابن العميد:

(الكامل)

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمَنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ⁽³⁾

فصور المتوفى في علو مكانته وإشراقه وجهه بالشمس، وهي استعارة تصريحية، توحى بعلو المكانة، وتمنح الممدوح شيئاً من القدسية والعظمة والعلواء، والصورة في البيت الثالث كقول المتنبي:

(الطويل)

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ⁽⁴⁾

فكلاهما صور الممدوح بالبحر، غير أن صورة ابن عبدون تقوم على الاستعارة التصريحية، وصورة المتنبي تقوم على التشبيه المفرد.

ومن صور الموروثة قوله في رثاء أخيه عبد العزيز:

(الوافر)

رُؤَيْدِكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ الْخَوْوُنُ سَتَأْكُلُنَا وَإِيَّاكَ الْمَنُونُ

تُعَلَّنُنَا الْأَمَانِي وَهِيَ زُورٌ وَتَخْدَعُنَا اللَّيَالِي وَهِيَ خُونٌ

- مَضَى مَنْ لَوْ سَبَقْتُ لَمَا تَعَزَى وَلَا جَفَّتْ لَهُ بَعْدِي جُفُونُ⁽⁵⁾

¹ - ابن عبدون، الديوان، 127-128.

² - مريم، 4/19.

³ - ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 286.

⁴ - المتنبي، الديوان، 376.

⁵ - ينظر: ابن عبدون، م.س، 186-187.

وهي صورة مركبة موحية، تتداخل في الصورة الحركية والصورة الحسية، تبدو فيها عناصر الدراما والحركة، فقد شخّص الدهر وحاوره، وشخّص الأمانى والليالي، وجعلها إنساناً مخادعاً، وشبه الموت بوحش يأكل الناس، والبيت الثالث كناية عن كثرة البكاء وغزارة الدموع، وهو كقول الخنساء:

(المتقارب)

أعينيّ جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى⁽¹⁾

ومن صوره الموروثة في الخمر تشبيهاً بريق المعشوقة، ومن ذلك قوله: (مخلع البسيط)

ودارٌ دُنْيَا الْوَرَى عَرُوسٍ مَعشُوقَةٌ رِيْقُهَا الْمُدَامُ⁽²⁾

وهو كقول السري الرفاء: (الطويل)

فَلْوَرِدِ خَدَاها وَلِلْخَمْرِ رِيْقُها وَلِلْغُصْنِ عِطْفَاها وَلِلرَّيْمِ جِيْدُها

ومنها في وصف انقضاء الليل قوله: (الكامل)

والليلُ يُنْعَى بِالْأَذَانِ وَقَدْ شَدَا بِالْفَجْرِ طَيْرُ الْبَانَةِ الْمَتْرَمِ⁽³⁾

فصوّر الليل بالمتوفى، وصور الفجر بالناعي، وهما من الاستعارة المكنية، وهو كقول أبي نواس:

(الرجز)

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ

وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَآبِهِ هَجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هَجْنَا بِهِ⁽⁴⁾

¹ - ينظر: الخنساء، الديوان، 143.

² - ينظر: ابن عبدون، الديوان، 176.

³ - ينظر: ابن عبدون، م.ن، 178.

⁴ - أبو نواس، الديوان، 187/2.

وله في وصف الربيع أيضًا صورًا تقليديّة موروثة، فصور تفتح الأزهار وجريان الينابيع وتغريد

الطيور، فقال معتمدًا على الاستعارة والتشبيه:

(البسيط)

يا نَفْحَةَ الزَّهْرِ مِنْ مَسْرَاكِ وَأَفَانِي خَلُوصَ رِيَاكِ فِي أَنْفَاسِ آذَارِ
وَالْأَرْضُ فِي حُلِّ قَدْ كَادَ يُحْرِقُهَا تَوَقُّدُ النُّورِ لَوْلَا مَاؤُهَا الْجَارِي
وَالطَّيْرُ فِي وَرَقِ الْأَشْجَارِ شَادِيَةٌ كَأَنَّهُنَّ قِيَانٌ خَلْفَ أَسْتَارِ⁽¹⁾

فصور شهر آذار بإنسان يتنفس، وصور الأرض بإنسان يلبس الحلل الجميلة الزاهية، وهما من الاستعارة المكنية، وصور الطيور بقيان تغني، وهي من التشبيه المفرد، وقد أخذها من قول ابن

الرومي في وصف الزهر:

(المنسرح)

نَشَّرَ آذَارُ فِي الثَّرَى حُلًّا قَدْ كَانَ كَانُونَ قَبْلُ طَوَاهَا
كَسَا عِرَاءَ الرُّبَا طِيَالِسَةً خَضُرًا، وَبِالْعَبْقَرِيِّ رَدَاهَا
وَصَاغَ لِلْأَرْضِ كُلَّ تَاجٍ بِهَا أَحْسَنَ فِي صُنْعِهِ فَجَلَّاهَا⁽²⁾

وصور ابن عبدون في النصّ السابق الطير بقيان تغني، وهو من قول أبي نواس:

(المنسرح)

وَعَنَّتِ الطَّيْرُ بَعْدَ عُجْمَتِهَا وَاسْتَوَفَّتِ الْخَمْرُ حَوْلَهَا كَمَلًا⁽³⁾

1 - ابن عبدون، الديوان، 153.

2 - ابن الرومي، الديوان، 69/1 - 70.

3 - أبو نواس، الديوان، 243 / 3.

2- الصورة الفنية الموروثة في نثر ابن عبدون

لا يختلف نثر ابن عبدون عن شعره في توظيف الصّور الفنيّة، فقد جاءت بعض رسائله زاخرة بالصور، ومن صوره الموروثة قوله في رسالة إلى الفتح بن خاقان: "... هل تجدُ إلا من يمرُّ بين يديك في شخصٍ ضئيلٍ، وينظرُ إليك من طرفٍ كليلٍ..."⁽¹⁾، فسور الطّرف بالسيف أو السكين الكليل الذي لا يقطع، وهذه العبارة كثيرة الورد في أشعار السابقين، ومن ذلك قول جميل بثينة:

(الوافر)

فُولَيْنَا الحُكُومَةَ ذَا سُجُوفٍ أَخَا دُنْيَا لَهُ طَرْفٌ كَلِيلٌ⁽²⁾

ومن صوره الموروثة في نثره قوله في رسالة إلى الوزير أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال: "... أنا مع عمادي الأعظم، أدام الله علوه، طواه الجهدُ وآواه من تهامة وهد، وما له بريحها العقيم ولا بحرهما المقعد المقيم عهد..."⁽³⁾، وهو من قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾⁽⁴⁾، فسور الرّيح بالمرأة العاقر، وهي استعارة مكنيّة.

ومنها كذلك قوله في رسالة إلى ابن الجدّ: " يا مرادي الحفيّ ومن أعلى الله أمره السنّي، وصلني كتاب كريم طلعت عليّ منه نجوم، أستغفر الله تعالى بل رجوم هوت من أساطيري على شياطين فأحرقتها..."⁽⁵⁾، فسور كلمات ابن الجدّ بالنجوم والشّهب التي يقذف بها الله سبحانه الشياطين التي

1 - ابن عبدون، الديوان، 197-198.

2 - جميل بثينة، الديوان، 100.

3 - ابن عبدون، م.س، 204.

4 - الذاريات، 41/51.

5 - ابن عبدون، م.س، 209؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 676/4.

تسترق السمع إلى أهل السماء، وهي استعارة تصريحية، وقد جرت العادة أن يوصف الممدوح أو كلامه أو أبيات شعر شاعر بالنجوم والشهب، وهو كقول ابن الرومي في مدح آل طاهر:

(الكامل)

آرَاؤُكُمْ وَوَجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومًا
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومًا⁽¹⁾

ومن صورهِ الموروثة كذلك قوله في رسالة إلى ابن الجدي أيضًا: " كتبتُ عن قريحةٍ خمدٍ لهيبها، ونحيزةٍ ركدٍ هبوبها، ... ولسانٍ عقدٍ عذبتُهُ الخجلُ..."⁽²⁾، وهو كقوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٧٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾⁽³⁾، فصور اللسان بالحبيل واللثغة بالعقد. ومنها قوله في الرسالة نفسها: "... مَنْ طَمَعَ مَجَارَاتِكَ قَطْفَ، وَلَوْ رَكِبَ الْبَرْقَ، وَمَنْ دَفَعَ إِلَى مَبَارَاتِكَ تَخَلَّفَ وَلَوْ سَبَقَ الْخَلْقَ..."

(البسيط)

وهو كقول أبي الفرج الببغاء المخزومي:

يَسْعَى بِهِ الْبَرْقُ إِلَّا أَنَّهُ فَرَسٌ فِي صُورَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ⁽⁴⁾

فكلاهما يصور البرق بالركوبة، وهما كناية عن السرعة الشديدة.

1 - ابن الرومي، الديوان، 3/ 319.

2 - ابن عبدون، الديوان، 210، ؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 4/ 674.

3 - طه، 20/ 27-28.

4 - نسبه الثعالبي في اليتيمة إلى الببغاء.

ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، 1/ 327، ولم أجده في ديوانه طبعة لايبزيك سنة 1834م.

ومنها قوله في رسالة: " وكتبْتُ والعهدُ يرفُّ مأوهُ، ويشفُّ ضياؤهُ ... وإن كانت القلوبُ تتناجى

على العبادِ بألسنِ الودادِ...⁽¹⁾، فهو كقول الشاعر:

(الطَّويل)

جَمالُكَ يا زَرَ عَ بنَ أرقَمَ إنَّما تُناجِي القُلُوبَ بالعيونِ النَّواظِرِ⁽²⁾

فصور ابن عبدون القلوب بناسٍ يتناجون، وصور الحميريِّ كذلك العيون والقلوب بناسٍ يتناجون، وهما استعارتان مكنيتان.

ثانياً: الموسيقى الشعريّة

لا شكّ أن الموسيقى الشعريّة هي الركن الأهم، والعنصر الأبرز من عناصر الشعر، فالوزن والقافية هما الحدّ الفارق بين النثر والشعر، وقد لقي عناية فائقة من النقاد العرب القدامى، فقد بين ابن رشيق في سياق حديثه عن حدّ الشعر وأركانه أنّ الوزن - ومنه القافية - أعظم هذه الأركان⁽³⁾. والشاعر يتميّز بموسيقاه كما يتميّز بصوره، وتراكيبه، وأساليبه، فالشعر - كما عرفه ابن سنان الخفاجي - هو: **كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى**⁽⁴⁾، فالموسيقا هي جوهر الشعر، ولا وجود للشعر دونها⁽⁵⁾، ومفهوم الشعر مرتبط بها، فالشعر هو الكلام الموزون المقفّى⁽⁶⁾.

وللشعر مظاهر جماليّة كثيرة، أهمها وأسرعها إلى نفس المتلقّي هي جرس الألفاظ وانسجام المقاطع والإيقاعات، وهذه المظاهر هي موسيقا الشعر التي تثير المتعة في نفس المتلقّي،⁽¹⁾ وهذا

1 - ابن عبدون، الديوان، 213؛ ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني 618/4.

2 - نسبه السراج القارئ إلى رجل من حمير، ينظر: السراج القارئ، مصارع العشاق، 67.

3 - ينظر: ابن رشيق، العمدة، 218/1؛ أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 13.

4 - ابن سنان، سرّ الفصاحة، 286.

5 - ينظر: عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 229.

6 - ينظر: حركات، مصطفى، أوزان الشعر، 6.

الإيقاع الموزون هو الذي يثير الانتباه، فيثير الحزن، أو البهجة والفرح، أو الحماس، أو غير ذلك من المشاعر⁽²⁾.

ورقة الشعر وعذوبة ألفاظه وصلاحها للغناء أحد أهم عناصر الجمال في الشعر، ولا تقل أهمية عن الصور والعواطف والخيال، وقد يرتقي حسن الإنشاد بالشعر إلى درجة عالية من الرفعة، كما أن سوء الإنشاد قد يحط من هذه القيمة⁽³⁾.

والوزن مرتبط بالعاطفة، فهناك علاقة وثيقة بين الانفعالات والموسيقا، إذ تزداد ضربات القلب أو تقل حسب تأثر الشاعر والمتلقي بالنص، كما أن الشاعر يختار أوزانه بشكل يتفق مع عواطفه، فتساهم في تصوير هذه المشاعر وتجسيدها، والشاعر حين ينشد شعره يستعيد هذه الحالة النفسية التي لازمته حين نظم القصيدة، ولذلك كثرت أوزان بعينها في موضوعات معينة، كالبحور الطويلة في المدح والفخر، والبحور القصيرة الخفيفة في الغزل⁽⁴⁾. فالموسيقا تجسد عواطف الشاعر، بها يعبر الشاعر عما يعجز عن التعبير عنه بالألفاظ⁽⁵⁾، وهي التي تثير الحزن أو الفرح أو الشوق أو غير ذلك من العواطف، إضافة إلى الأثر العجيب الذي يتركه الكلام الموزون في نفس المتلقي، فهو يثير الانتباه، وجعل السامع في حالة من الترقب للإيقاع التالي،⁽⁶⁾ وهي نوعان: خارجية تتمثل في البحر

1 - ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 6-7.

2 - ينظر: أنيس، إبراهيم، م.ن، 12.

3 - ينظر: الصحناوي، هدى، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، مجلة جامعة دمشق، 95.

4 - ينظر: أنيس، إبراهيم، م.س، 173-175.

5 - ينظر: عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 229.

6 - ينظر: أنيس، إبراهيم، م.س، 11-12.

والقافية، وداخلية تتمثل في الإيقاع الداخلي وتآلف الأصوات بين الهمس والجهر، واللين والمد، وبعض الفنون البديعية، والتكرار⁽¹⁾.

1- الموسيقى الخارجية

تنوّعت الموسيقى في ديوان ابن عبدون، فوظف عددًا من البحور الشعريّة الموروثة في شعره، وقد كانت موسيقاه متناسبة مع موضوعاته، ومع الظروف المعيشية التي مرّ بها، فقد كانت الدنيا تضحك له حينًا، وتعبس أحيانًا أخرى، وقد تَوَزَّع شعره بين القصائد والمقطّعات والأبيات المفردة، لكنّ أكثر شعره من المقطعات. وهذا جدول يبين هذا التوزيع:

القصائد	المقطّعات	الأبيات المفردة
17	19	5

وظّف ابن عبدون في شعره عشرة بحور من أوزان الخليل بن أحمد، هي: الطويل وهو أكثرها انتشارًا في شعره، إذ بلغت نصوصه اثني عشر نصًّا منها ثلاث قصائد، ثم البسيط في عشرة نصوص منها خمس قصائد، ثم الوافر وجاء في ستة نصوص منها أربع قصائد، ثم الكامل في قصيدتين ومقطعتين، ثم المتقارب في ثلاث مقطّعات، ثم المجتث في مقطعتين، والخفيف في مقطّعة واحدة، ومجزوؤه في قصيدة، ثم الرجز والمقتضب والسريع، وكل واحد منها في مقطّعة واحدة فقط، وله بيتان، أحدهما ممزوّج من الكامل والطويل هو قوله:

¹ - ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 11-12.

قَمْرٌ وَأَثْوَابُ الظَّلَامِ تَظْلُهُ وَيَخْفَى إِذَا مَا الصَّبِيحُ أَحْدَقَ حَاجِبُهُ⁽¹⁾

- u - u / u - u / - - - u / - - - u - u - u / - u - - - / - u - u - u

فَالصَّدر من الكامل والعجز من الطَّويل، والثَّاني ممزوج من البسيط والرجز، وهو قوله:

فَأَنْتَ يَا وِلْدَ الفَخَّارِ أَنْتَ كَمَا تُدْعَى وَلَا تَسْبِقُ الرِّاءُ الأَلْفُ⁽²⁾

- u - - - / - u - u - u / - u - - - - u u / - u - - - / - u u / - u - u

وهو بذلك يخالف ما قرره العروضيون من ضرورة التزام الشَّاعر بوحدة البحر.

لقد وظَّف الشَّاعر البحور الشَّعرية بشكل يتناسب مع عواطفه، ومشاعره، وموضوعاته، وكان البحر الطَّويل أكثر البحور انتشارًا في شعر ابن عبدون، وهو بحر حوى نحو ثلث الشَّعر العربيِّ الجاهليِّ، وناسب الموضوعات الجليلة كالفخر والهجاء والرِّثاء والمناظرة، لأنَّه كثير المقاطع، وهذا ما جعل الشَّعراء يفضلونه، ثم البسيط والكامل والوافر، وهي البحور التي لها الحظُّ الأكبر في الشَّعر العربي في مختلف العصور⁽³⁾، وخاصة أنَّ أكثر شعر ابن عبدون في المديح، فقد بلغت قصائد المديح ومقطعاته ثلاثًا وعشرين، منها أربع عشرة قصيدة، ثمَّ الشُّكوى والرِّثاء، وهي أربع في الرِّثاء ومثلها في الشُّكوى، من أصلٍ أربعةٍ وأربعين نصًّا، فالمتلقِّي يمكنه أن يحسَّ آلام الحزن والحسرة وهو يستمع إلى أبيات ابن عبدون في رثاء الوزير الفقيه أبي مروان ابن سراج وهو يقول متحسرًا وقد أحسن اختيار القافية:

(البسيط)

مَنْ لِلْعُلُومِ إِذَا مَا ضَلَّ نَاشِدُهَا فِي ظِلْمَةِ الشُّكِّ بَعْدَ النِّيرِ الهَادِي

1 - ابن عبدون، الديوان، 109.

2 - ابن عبدون، م، 164.

3 - ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقا الشَّعر، 189 - 191.

مَنْ لِلْحَدِيثِ إِذَا مَا ضَاقَ حَامِلُهُ ذَرْعًا بَمَثْنٍ وَإِضَاحٍ وَإِسْنَادٍ

- مَضَى فَلِلَّهِ مَا أَبْقَتْ وَمَا أَخَذَتْ أَيْدِي اللَّيَالِي مِنَ الْمَقْدَى وَالْفَادِي (1)

فالمتلقي يشعر بالضيق والألم في نفس الشاعر الذي فقد عزيزاً، كما يحسّ باستسلامه لقضاء الله وقدره فيه، يحسّ بهذه المشاعر مناسبةً، ومتناسبةً مع قافية الدال المكسورة السهلة، كما يمكن للمتلقي أن يحسّ مشاعر الغضب والضيق والضجر بعد خروجه من مدينة يابرة، في قافية الميم المكسورة في قوله:

(الطّويل)

أَنَا يَا ابْنَ سَيْفِي يَعْرُبُ سَيْفَكَ الَّذِي إِذَا شِمْتَهُ لَمْ يَنْبُ وَإِخْبَرُهُ تَعْلَمُ
هَجَرْتُ إِلَيْكَ الْأَقْرَبِينَ مُهَاجِرًا وَلَمْ أَرْضَ أَرْضًا كُلَّ سَاكِنِهَا عَمُ
فَعَارَ عَلَى الْعِلْيَاءِ سَكَنَائِي بَلْدَةً كَبَلْدَةِ عَلِيٍّ الْأَفْقِ مِنْ دُونِ أَنْجُمِ
فَلَوْ أَنَّ غِيْلَانًا حَوْتَهُ دِيَارَهَا تَغْنَى بِمَيِّ بَيْنَهُمْ غَيْرَ مُعْجَمِ (2)

فمشاعر الألم تبدو في افتخاره بنفسه في البيت الأول، ثم هجرته الأقربين، وكرهه لهذه البلدة وهي بلدته يابرة، وقد جاءت هذه المشاعر مع الامتداد في قافية الميم كأنها صوت المتألم.

2- الموسيقى الداخليّة

لم يقف ابن عبدون في موسيقاه الشعريّة عند البحور الشعريّة والتنوّيع في القوافي المطلقة والمقيدة، بل وظّف ظواهر صوتيّة أخرى كاعتماده على الإكثار من حروف اللين والمدّ، كقوله في مدح المتوكّل:

(الطّويل)

وَأَجْعَلُ أَرْضَ الرُّومِ تَجْلُو تَلَاغَهَا عَلَيْكَ زُرُودًا وَالْحِمَى وَالْمَطَالِيَا

1 - ابن عبدون، الديوان، 130.

2 - ابن عبدون، م.ن، 130.

وَقَدْ نَثَرْتُ مِنْ ذِي الْقُرُوحِ وَخَالِهِ وَعَمْرٍو بِنِ كُثُومٍ عَظَامًا بِوَالِيَا

وَقِيلَ لَهُمْ مَنْ ذَا لَهَا فَتَخَيَّرُوا أَحْيَرًا يَبْذُ الْقَائِلِينَ الْأَوَالِيَا

- وَعَزَّ عَلَى الْعَلِيَاءِ أَنْ يُلْقِيَ الْعَصَا مُقِيمًا بِحَيْثُ الْبَدْرُ أَلْقَى الْمَرَّاسِيَا⁽¹⁾

فقد منح انتشار الألف والواو والياء جرّساً رقيقاً وموسيقاً سهلة عذبة، وهذا عند القدامى كثير، ومنه

قول النابغة الذبياني متغزلاً: (البيسط)

وَالطَّيْبُ يَزْدَادُ طَيِّبًا أَنْ يَكُونَ بِهَا فِي جِيدٍ وَاضِحَةٍ الْخَدَيْنِ مَعطَارٍ

تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا اسْتَسْقَى بِذِي أَشْرِ عَذْبِ الْمَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مَخْمَارٍ⁽²⁾

ومن ظواهره الموسيقية الموروثة: الموازنة، والتقطيع الموسيقي، والترصيع⁽³⁾، والجناس، كقوله في

رثاء المتوكل بن الأقطس بعد سقوط بطليوس في أيدي المرابطين: (البيسط)

مِنَ لِلْأَسْرَةِ أَوْ مِّنَ لِلْأَعْنَةِ أَوْ مِّنَ لِلْأَسْنَةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثَّغْرِ

مِنَ لِلرِّعَاةِ أَوْ مِّنَ لِلْبَرَاةِ أَوْ مِّنَ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ

أَوْ دَفْعِ كَارِثَةٍ أَوْ رُدِّعِ آزِفَةٍ أَوْ قَمْعِ حَادِثَةٍ تَعْيَا عَلَى الْقَدْرِ

وَيَبِ السَّمَاحِ وَيُوبِ الْبَاسِ لَوْ سَلِمَا وَحَسْرَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عَمْرِ⁽⁴⁾

¹ - ابن عبدون، الديوان، 193-195.

² - النابغة، الديوان، 20.

³ - الترصيع: تقسيم البيت إلى ثلاثة أجزاء أو أربعة، وسجع هذه الأجزاء.

ينظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، 302.

⁴ - ابن عبدون، م.س، 148.

فقد اتخذ الشاعر في كل بيت منها تقطيعاً إيقاعياً مختلفاً عن الذي يليه، معتمداً على الجنس والتكرار والترصيع، ومظهراً قدرة فنية كبيرة، ومن التقطيع عند القدامى قول الخنساء في رثاء أخيها

معاوية: (المقارب)

حَدِيدُ الْفُؤَادِ دَلِيقُ اللِّسَانِ يُجَازِي المَقَارِضَ أَمْثَالَهَا
- رَفِيعُ العِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا⁽¹⁾

ووظف ابن عبدون كذلك القافية المناسبة للتعبير عن عواطفه ومشاعره، كتوظيف قافية العين

المكسورة في قصيدة تتفجر فيها مشاعر الغضب: (الوافر)

سَأَطْلُبُ لَا بِالسِّنَةِ الْيَرَاعِ سِوَى ذَا الحِظِّ مِنْ أَيْدِي الزَّمَاعِ
- فَسَلْنِي عَنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ تَسْأَلُ خَبِيرًا فَأَقْضِ حَقَّ الاستِمَاعِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ نَفْسِي وَنَفْسِي لِأَوْصِحَ غُبْنَهُمْ عِنْدَ البِيَاعِ
- وَيُمْنِي لَا تَجُودُ عَلَى شِمَالِ وَلَا تُصْفِي المَوْدَةَ لِلذَّرَاعِ
وَعَيْنٌ لَا تَغْمُضُ عَنْ قَبِيحِ وَأُذُنٌ لَا تَأَلَّمُ مِنْ قَذَاعِ
- وَلَمْ أَجْعَلْ قَرَابِي غَيْرَ بَيْتِي فَحَسْبِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ قِرَاعِ⁽²⁾

فقد بدأ بمطلع يكشف فيه عن غضبه، ثم انفجرت مشاعر الغضب والسخط من الملوك الذين رفضوه وغبنوه فهجاهم، ثم صور في غضب وحرقة الواقع الفاسد الذي يعيشه، وختم القصيدة ببيع كل ما عاداه وخالفه وحبس نفسه في بيته⁽³⁾.

1 - الخنساء، الديوان، 143.

2 - ابن عبدون، الديوان، 161-163.

3 - ابن عبدون، م.ن، 125.

ومن الظواهر الموسيقية الموروثة التي اعتمد عليها ابن عبدون في شعره أيضاً التصريح، فقد بدأ الكثير من قصائده ومقطعاته به، وهي ظاهرة لا يكاد يخلو منها شعر شاعر، ومن ذلك قوله في عتاب المتوكل بن الأفتس:

(الطويل)

خَصَمْتُ الظُّبَا عَنْكُمْ عَلَى أَنَّهَا لُدُّ بَقَرَعِ لَهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ رَعْدٌ⁽¹⁾

ولم يقف ابن عبدون في عنايته بالموسيقا عند الشعر، بل تعداه إلى النثر، معتمداً على الفنون البديعية الإيقاعية كالسجع والجناس والمقابلة والموازنة وغيرها، ومن ذلك قوله في رسالة إلى ابن الجدي: "... وتصفح ألفاظها ومعانيها، فأسقطت لفظتين كانتا بين سطرين، فاتفق بذلك نوع من الإعراب، ولم يقع في باب من الإعراب، ولا سمع من العرب ولا من الأعراب، ولم يقع في حساب فكيف في كتاب..."،⁽²⁾ فقد وظف الجناس الكلمي⁽³⁾ بين الإعراب والإعراب، والجناس الحرفي فأكثر من حرف الباء وحرف العين، وأكثر من استخدام السجع والفواصل، كما اعتمد على ظاهرة موسيقية أخرى وهي قصر الجمل وتغيير الفاصلة بعد جملتين أو ثلاث، مما منح النص إيقاعاً جميلاً وتوزيعاً موسيقياً رغم غرابة ألفاظه.

ووظف فن الموازنة لإخراج إيقاعه الموسيقي كامل الجمال الفني نحو قوله: " ولا يتجاوز متجاوزاً إلا نسب زيغها إليه، ولا سيما في ضربة توجب حداً وتضرع حداً، وتفلُّ من فاضل حداً، لم يطلع مشيعها مني على ريبة، ولا وقف مزيغها على حقيقة، بل افتراء مفترٍ وادعاء مدعٍ..."⁽⁴⁾

1 - ابن عبدون، الديوان، 161-163.

2 - ابن عبدون، م، ن، 211.

3 - الجناس الكلمي هو استخدام كلمتين بحيث تكون إحداهما مجانسة للأخرى من حيث الاشتقاق، ويعرف بتجنيس المناسبة. ينظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، 103.

4 - ابن عبدون، م، س، 214.

فقد وظّف فتّي المقابلة والموازنة، وهو في هذا كلّه متأثر بمن سبقه من كتّاب النثر، كالمسعودي في مقدمة مروج الذهب إذ يقول: " أما بعد، فإننا صَنَفْنَا كتابنا في أخبار الزمان ... وأصناف مَنَاهِلها، وأخبار غِيَاضِها، وجزائر البحار، والبُحَيْرَاتِ الصغار، وأخبار الأبنية المُعَظَمة، والمسكن المشرفّة، وذكر شأن المبدأ، وأصل النسل، وتباين الأوطان، وما كان نهراً فصار بحراً، وما كان بحراً فصار بَرّاً، وما كان بَرّاً فصار بحراً، على مرور الأيام، ومُزُور الدهور..."(1).

وقد يحذف الحرف الأخير من الكلمة المنتهية بألف ممدودة كالسما والثناء؛ وما ذلك إلا نزولاً عند الفاصلة وإيقاعها، وهو عند السابقين كثير، ومن ذلك قوله في رسالة: " ... استفادت من غرسه طيب الجنى، واستعارت من شمسه حسن الثنا..."(2)، وهو في الشعر أكثر من أن يحصى في هذا المقام، ومن ذلك قول ابن الرومي:

(المتقارب)

أَجْهَرُ فَيْكَ جَمِيلِ الثَّنَا إِلَى حَافِظٍ وَإِلَى آقِمِ(3)

ومن شواهد النثر ما أورده أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر أنّ النبي ﷺ كتب إلى أحياء من مُضَر: [إنّ لكم حماكم ومرعاكم، ولكم مفيضُ السّما حيث انتهى، وصديعُ الأرضِ حيث ارتوى](4). يتبيّن لنا مما سبق عناية ابن عبدون بالموسيقا في شعره ونثره، وتوظيفها في أدبه على نحو يناسب أغراضه ومعانيه وعواطفه.

1 - المسعودي، مروج الذهب، 9/1.

2 - ابن عبدون، الديوان، 215.

3 - ابن الرومي، الديوان، 313/3.

وقمه: قهره وردّه وأذله. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وقم.

4 - أبو حيان، البصائر والذخائر، 218/1.

ثالثاً: الظواهر اللغوية الشعرية والنثرية

اللغة شأن من شؤون الناس، فهي وسيلتهم في التفاهم والتفكير، واللغة الشعرية الركن الأهم في بناء النص الشعري، والشاعر يختار الألفاظ الشعرية الموحية المعبرة في إخراج معانيه وعواطفه إلى المتلقي والتأثير فيه، فتكون أداة التواصل بين الشاعر والمتلقي،⁽¹⁾ وإذا كان الشاعر الناجح هو الذي يُوفِّق في اختياره صوره وموسيقاه، فهو كذلك الذي يوفِّق في اختيار ألفاظه وتراكيبه وأساليبه.

وللغة الشعرية خصوصية ما تجعلها مختلفة عن لغة التخاطب، فالشاعر يُحمّل لغته مضامين قد لا يستطيع القارئ أن يفهمها بسهولة، كأن يتناول الشاعر قضية خارجة عن المحسوس أو المعقول، فيحمل لغته مضامين وإيحاءات لا تظهر للقارئ إلا بعد التمهيص والتدقيق، وهذا ما جعلها وسيلة الشاعر في بناء عالمه الفني، وهذا أيضاً ما دفع الدارسين إلى جعل اللغة الشعرية محكّ دراساتهم ومحورها لمعرفة أسرارها ودقائقها،⁽²⁾ إذ لها طابعها الخاص الذي يميزها عن لغة التخاطب،⁽³⁾ فقد يستخدم الشاعر فكرة صحيحة بلغة غير محكمة فتضيع الفكرة، وقد يتناول الشاعر فكرة غير صحيحة بلغة قوية موحية معبرة محكمة، فيقع المتلقي بها،⁽⁴⁾ وعلى ذلك فمهمة الشاعر أن يخرج باللغة عن عموميتها ويحوّلها إلى صوت شخصي يخرج بها موهبته ورؤيته بشكل مؤثر، معتمداً على الدلالات والأصوات والبناء اللغوي والإيقاع،⁽⁵⁾ وبقدرته على إخراج لغته الخاصة يظهر إبداعه، فاللغة هي جوهر الشعر، وتوجّهات الشاعر الفكرية والعاطفية والكثير من العوامل الخاصة بالشاعر،

1 - ينظر: عبد السلام، وسام، توظيف الموروث في شعر الأعشى، 219.

2 - ينظر: الديك، نادي ساري، ما قالته غزة للبحر، 93-94.

3 - ينظر: العوادي، عدنان، لغة الشعر الحديث في العراق، 9.

4 - ينظر: حفني، حسن، التراث والتجديد، 109.

5 - ينظر: العوادي، عدنان، م.س، 9.

تساهم في تحديد رؤيته من حيث المضمون والإحساس، وهذا يؤدي إلى أن يكون لكل شاعر لغته الخاصة به، وهذا بدوره يجعل لكل شاعر طريقته وأسلوبه الشعري⁽¹⁾.

لقد تأثرت اللغة في شعر ابن عبدون برحلاته وتقلباته، وعلاقته بالأمراء وقربه من بعضهم، وإعراض آخرين منهم عنه، وحياة الترف من ناحية وحياة الضنك وإعراض الدنيا عنه في مرحلة ما من عمره من ناحية أخرى، فقد تراوحت لغته وألفاظه وتراكيبه الشعرية بين السهولة والجزالة، حسب ما يقتضيه الغرض الشعري.

واتّسمت لغة ابن عبدون الشعرية بشكل عام بالسهولة والوضوح، وبخاصة في المديح، نحو قوله

في المعتمد بن عباد: (البسيط)

لولا المؤيد مدّ الله مدته ما كان لي في سوى بغداد من أرب
فلم أكن وسوى بغداد لي أمل فيها كما كنت في أهلي بمغرب
وإن نبت حمص بي والله يعصمها ركبها عزيمة تشأى الكواكب بي⁽²⁾

ولعلّ هذه السهولة عند ابن عبدون تعود إلى بيئة الأندلس الخلافة التي أكثر الشعراء من وصفها وأبدعوا فيها، وهي مظهر من مظاهر الإبداع عنده، على أن بعض قصائد ابن عبدون في المديح

جاءت جزلة قوية متضمنة بعض الألفاظ الموحشة نحو قوله في المتوكّل: (الطويل)

وأغربة الظلماء تنفض بينهم قوادمها مبلولة والخوافيا
- إليه أكلت الأرض باليس ثائرا وقد أكلت منها الذرى والحواميا
حوافي لا ينعلن والبعد أدن على نفسه إلا الوجى والدياجيا

1 - ينظر: الديك، نادي ساري، ما قالتها غزة للبحر، 94.

2 - ينظر: ابن عبدون، الديوان، 114.

فَجَاءَتْهُ لَمْ تُبْصِرْ سِوَى الْبِشْرِ هَادِيًا وَسَلُّهُ وَلَمْ يَسْمَعْ سِوَى الشُّكْرِ حَادِيًا
هَوَادٍ عَلَى أَعْجَازِهَا قِيمُ النَّدَى فَأَزِيحُ بِنَا مَشْرِيَّ حَمْدٍ وَشَارِيَا⁽¹⁾

فالألفاظ الموحشة الغريبة جليّة واضحة نحو: أغربة، العيس، الوجى، الدّياجي، وهذه الألفاظ الموحشة وأمثالها تنتشر في دواوين القدامى كامرئ القيس والأعشى والنابغة، فهو كغيره من الشعراء يميل إلى السّهولة حيناً وإلى الجزالة والغرابة حيناً آخر حسب ما يقتضيه الغرض والمقام، على أنّ أكثر شعره يميل إلى السّهولة والوضوح.

وفي الرثاء نجد ابن عبدون يسير على طريقة القدامى كالمتنبّي،⁽²⁾ فقد وصفه ابن بسام بأنه أحد الزعماء في صناعة الشعر والنثر، وله قدمٌ ثابتة في هذه الصناعة، ثم قال بعد أن أورد له أبياتاً في رثاء الوزير الفقيه أبي مروان ابن سراج: "واقفتي أبو محمد أثر فحول القدامى، من ضربهم الأمثال في التّأبين والرثاء، بالملوك الأعزة، وبالوعول الممتعة في قتل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبالنسور والعقبان والحيات في طول الأعمار، وغير ذلك.."،⁽³⁾ ومن هذه القصيدة قوله:

(البسيط)

لا شمسَ قبلك زادت بالغروبِ سنا واستأنفتُ نشرَ أنوارٍ وأورادٍ
- فما سمعنا ببحرٍ غاضٍ في جدثٍ وكانَ ملءَ الرُّبى يرمي بأزبادٍ
ولا بطودٍ رسا تحت الثرى وسما على السّها حملوه فوق أعوادٍ⁽⁴⁾

فصوّر المتوفى بالشمس والكواكب، وصوّره بالبحر وبالطود العظيم.

¹ - ابن عبدون، الديوان، 189-191.

² - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 189-190.

³ - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، 2/818.

⁴ - ابن عبدون، م.س، 128-129.

وتأثر ابن عبدون بالقدامى كالمُتنبّي في لغتهم وأساليهم، كما تأثر بصورهم ومضامينهم، فسار ابن عبدون على طريقة المُتنبّي في قصائد كثيرة، وقد بلغ شغفه به - على حدّ تعبير سليم التنير محقق الديوان - أن عارضه في سينيته⁽¹⁾ التي مطلعها:

(الكامل)

أذهبَن من فرقِ الفرقِ نَفوسًا ونثرَن من درِّ الدَموعِ نَفيسًا⁽²⁾

وسينية المُتنبّي هي (ونطرده باسمه إبليساً)، يمدح فيها محمد بن زُرَيْق، ومطلعها: (الكامل)

هَذِهِ بَرَزَتْ لَنَا فَهَجَتْ رَسِيَسًا ثُمَّ انْتَهَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيَسًا⁽³⁾

وعارض أبا تمام أيضاً،⁽⁴⁾ في قصيدة يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم، ومطلعها:

(الكامل)

أَقْشِيْبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيَسًا وَقِرَى ضِيُوفِكَ لُوعَةً وَرَسِيَسًا⁽⁵⁾

فالقصيد الثلاث في المديح، وهي من الكامل وقافيتها هي السّين، وكلّها يتّسم بجزالة التراكيب وقوة الألفاظ.

ومن الظواهر اللغوية في أدب ابن عبدون التكرار، فهو أحياناً يكرّر بعض التراكيب دون أي تغيير، وقد عدّ محقق الديوان سليم التنير ذلك من العيوب اللغوية ومظاهر الضعف،⁽⁶⁾ وليس كلّ

1 - ينظر: التنير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 84-86.

2 - ينظر: المقري، نفع الطيب، 305/4، وقد أوردها التنير في مقدمة الديوان، لكنه لم يثبتها مع أشعار ابن عبدون في الديوان.

3 - المُتنبّي، الديوان، 58.

4 - ينظر: المقري، م.س، 305/4.

5 - أبو تمام، الديوان، 368/1.

6 - ينظر: التنير، سليم، م.س، 82.

تكرار ضعف، فقد يكون من مقتضيات المقام والحال، ومن العبارات المكررة في شعر ابن عبدون عبارة (بلغ سلام فمي فمي)، فقد تكررت في ثلاثة مواضع في شعره، وهي: قوله في مدح المتوكل:

(الكامل)

بَلِّغْ سَلَامَ فَمِي يَدَيِّ مَلِكٍ غَابَ الْمَلُوكُ عَنِ الْعُلَا وَشَهْدُ⁽¹⁾

وكررها في قوله يمدح أبا الحكم عمرو بن مدحج:

(الطويل)

أَبَا حَكَمٍ أَبْلَغُ سَلَامَ فَمِي يَدَيِّ أَبِي حَسَنِ وَارْفَقُ فُكَلْتَاهُمَا بَحْرُ⁽²⁾

وكررها مرة أخرى في قوله:

(الوافر)

وَبَلِّغْ عَن فَمِي يَدِهِ سَلَامًا كَمَا أَدْنَى الْأَزَاهِيرِ الرَّيَابُ⁽³⁾

وابن عبدون يريد أن يعبر عن مدى إعجابه بالمدح، ويطلب منه الهبة، فأرسل التحية إلى اليد، التي هي سبب العطاء، ومن المكرر عبارة (يا ابن سيفي يعرب)، في قوله مظهرًا ضجره وضيقة:

(الطويل)

أَنَا يَا ابْنَ سَيْفِي يَعْرِبُ سَيْفَكَ الَّذِي إِذَا شِمْتَهُ لَمْ يَنْبُ وَاخْبِرُهُ تَعْلَمُ⁽⁴⁾

فكره في قوله:

(الطويل)

إِلَيْكَ ابْنَ سَيْفِي يَعْرِبُ زَفَّ خَاطِرِي عَقَائِلَ لَا تَرْضَى الْبُرُوجَ مَغَانِيهَا⁽⁵⁾

1 - ابن عبدون، الديوان، 121.

2 - ابن عبدون، م.ن، 136.

3 - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، 3/ 442. وذكره محقق الديوان في مقدمته لكنه لم يثبت في الديوان. ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 82.

4 - ابن عبدون، م.س، 185.

5 - ابن عبدون، م.ن، 191.

فابن عبدون يسير على نهج القدامى في توظيف التكرار، ومن التكرار عند القدامى قول الخنساء في

رثاء أخيها معاوية وقد قتله بنو مرة: (المتقارب)

فِيَوْمًا تَرَاهُ عَلَى هَيْكَلٍ أَخَا الْحَرْبِ يَلْبَسُ سِرْبَالَهَا
وَيَوْمًا تَرَاهُ عَلَى لَذَّةٍ وَعَيْشٍ زَهْيٍ فَقَدْ نَالَهَا⁽¹⁾

فكررت جملة (يومًا تراه)، فهي تريد أن تكثر من ذكره أو الإشارة إليه، مظهرًا للشوق والحزن على

فراقه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة: (الوافر)

أَلَمْ تَرَبِّعْ عَلَى الظِّلِّ المُرِيبِ عَفَا بَيْنَ المُحَصَّبِ فَالظَّلُوبِ⁽²⁾
وقوله: (مجزوء الوافر)

أَلَمْ تَرَبِّعْ عَلَى الظِّلِّ وَمَعْنَى الحَيِّ كَالخَلِّ⁽³⁾

ومن القضايا اللغوية في شعر ابن عبدون، تلاعبه بالألفاظ، وتوظيف علوم اللغة والفقه، وتوظيف

مصطلحات النحاة، كقوله في مطولته في المتوكل بن الأفضس وولديه: (البسيط)

يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ وَالذَّهْرُ ذُو عُقْبٍ شَتَّى وَذُو غَيْرِ⁽⁴⁾

فقد وظف معنى (عسى) وأخواتها (لعل وأفعال الرجاء)، للدلالة على معنى الرجاء. ومن تصنّعه

اللغوي قوله مظهرًا زهده في ملذّات الدنيا: (صدره من البسيط وعجزه من الرجز)

فَأَنْتِ يَا وَلَدَ الفَخَّارِ أَنْتِ كَمَا تُدْعَى وَلَا تُسَبِّقُ الرِّاءُ الأَلْفُ⁽⁵⁾

1 - الخنساء، الديوان، 109.

2 - عمر بن أبي ربيعة، الديوان، 263.

3 - عمر بن أبي ربيعة، م.ن، 263.

4 - ابن عبدون، الديوان، 151.

5 - ابن عبدون، م.ن، 164.

فإذا سبقت الرّاء الألف صارت الكلمة(الفخر)، فهو يطلب من الإنسان ألا يتفاخر ولا يتكبر؛ إذ هو

مخلوق من فخّار. وقد سبقه بعض القدامى إلى مثل ذلك، ومنه قول المتنبي: (الطويل)

عِشْ أَبَقَ اسْمُ سُدِّ جُدِّ قُدِّ مَرِّ انْهَ كَسْرُ فُهْ تُسَلُّ

عَظِّ ارْمِ صِبِّ اَحْمِ اغْزُ اسْبِ رُعِ رَعِ دِلِ اثْنِ نَلِّ⁽¹⁾

فجعل الألفاظ جميعها بصيغة فعل الأمر.

ومن القضايا النقدية قوله في المتوكل: (البيسط)

ما لي إذا نفسٌ معنَى قُدِّسَتْ وسرَّتْ في جسمٍ لفظٍ مُسَوَّى الخلقِ مِنْ مَثَلِ⁽²⁾

فصور نفس المتوكل وروحه بالمعنى الشريف، وصور جسده باللفظ الفصيح الذي لا يعتريه الخلل والضعف، موظفًا قضية اللفظ والمعنى.

وقد احتلت هذه القضية مساحة كبيرة من عناية النقاد القدامى واهتمامهم، كالجاحظ وابن طباطبا وعبد القاهر والجرجاني وابن رشيق وغيرهم كثير⁽³⁾. وذكرها بعض الشعراء كمهيار الديلمي في قوله:

(الخفيف)

كَلِمٌ أَعَوْرُ المَعَادِنِ مَطْرُو قٌ وَمَعْنَى مَرْدَدٌ مَطْرورٌ

1 - المتنبي، الديوان، 341.

2 - ابن عبدون، الديوان، 174.

ومثله في توظيف قضية اللفظ والمعنى قوله وهو من الطويل:

تَقَابَلْنَا مِنْهُ السَّطُورُ بِوَاسِمًا أَثْعَرَ تَقَرَّى عَنْ لَمَى الْحَبْرِ أَمْ حَرْفُ

مَعَانٍ وَالْفَاظُ كَمَا رَقَّ زَاهِرٌ مِنَ الرُّوضِ أَوْ دَارَتْ مُعْتَقَةً صَرْفُ

ابن عبدون، م، 166.

3 - ينظر: الجاحظ، الحيوان، 131/3-132؛ ابن طباطبا، عيار الشعر، 14؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل

الإعجاز، 198-199؛ ابن رشيق، العمدة، 200/1-201.

- غرقوا منه في بحور الأعاريد ض وكيف المنصوب والمجروز⁽¹⁾

فمهيأر يصف تقصير بعض الشعراء، ويصف معانيهم بالضعف، وألفاظهم بالمطروقة، أي لا تجديد في معانيهم ولا في ألفاظهم وصورهم، واهتمامهم بالصنعة دون الجمال الفني.

ومن القضايا اللغوية التي وظفها قوله: (الطويل)

سَأَلْتُ الحُرُوفَ الزَّائِدَاتِ عَن اسْمِهَا فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ: أَمَانٌ وَتَسْهِيلٌ⁽²⁾

فهو يتكلم عن حروف الزيادة، وهي قضية نحوية⁽³⁾، فيذكر واحدة من قيمها البلاغية، فبعض هذه الحروف يزداد لتخفيف النطق وتسهيله، كالتنطق بالساكن في بداية الجملة.

ومن القضايا النحوية التي وظفها ابن عبدون الترخيم⁽⁴⁾، وذلك قوله في قصيدة يمدح المتوكل:

(الخفيف)

مَا عَلَى البَيْضِ غَيْرَ أَنْ تَدَعَ الهَا مَ بِهِمْ مِثْلَ الهَاءِ فِي التَّرْخِيمِ⁽⁵⁾

فقد عنى قطع الرؤوس، فشبه ذلك بحذف الحرف الأخير في الترخيم. وهو كقول أبي تمام في المديح:

(الكامل)

وَيْدٍ يَظَلُّ المَالُ يَسْقُطُ كَيْدُهُ فِيهَا سُقُوطَ الهَاءِ فِي التَّرْخِيمِ⁽⁶⁾

فأشار إلى قضية حذف الحرف الأخير من المنادى.

1 - مهيار الديلمي، الديوان، 62 / 2.

2 - ابن عبدون، الديوان، 170.

3 - ينظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، 309.

4 - ينظر: الزمخشري، م.ن، 71.

5 - ابن عبدون، م.س، 182.

6 - أبو تمام، الديوان، 135/2.

ومن القضايا النحويّة إثبات حرف العلة في المضارع المعتل الآخر المجزوم، وقد ورد ذلك في

بيت واحد هو قوله: (الوافر)

فَقَبِلَ أَبِي الدِّينَةَ قَيْسُ عَبْسٍ وَلَمْ يُصْغِي إِلَى قَوْلِ البَشِيرِ⁽¹⁾

بإثبات الياء في المضارع (يصغي)، وقد أوله محقق الديوان بأنّه جزم ثمّ أشبع الكسر، أو أنّه قصد

الاستفهام الإنكاري فتكن (لم) اسم استفهام أي لماذا⁽²⁾، وقد ورد مثله في اللغة الفصحى، فقد عاملت

بعض القبائل الفعل المعتل الآخر معاملة الصحيح، فتكون علامة الجزم السكون المقدر⁽³⁾، ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾، بإثبات

الياء في (يتقي) في قراءة قنبل⁽⁵⁾ عن ابن كثير⁽⁶⁾.

ومنها توظيف الفقه كقوله يشكو أعيان عصره: (الوافر)

بَدَهْرٍ ضَاعَتِ الأَحْسَابُ فِيهِ ضِيَاعَ الرَّأْيِ فِي السَّرِّ المُدَاعِ

فَبِعْتُهُمْ بَتَاتًا لَا بِنُتْيَا وَلَا شَرْطٍ وَلَا دَرَكٍ اِزْتِجَاعِ⁽⁷⁾

فبيع البتات هو البيع الذي لا شرط فيه، وقد أشار إلى ذلك محقق الديوان.

1 - ابن عبدون، الديوان، 155.

2 - ينظر: التنير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، حاشية الصفحة 155.

3 - ينظر: الجوجري، شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب، 1/ 212.

4 - يوسف، 90/12.

5 - أبو عمر، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي بالولاء، الشَّهير بقنبل: من أعلام القراء، كان إمامًا منقنًا في القراءة، انتهت إليه مشيختها بالحجاز، توفي سنة 291هـ.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 88/27؛ الزركلي، الأعلام، 6/190.

6 - ينظر: المقري، ابن خلف، العنوان في القراءات السبع، 41.

7 - ابن عبدون، م.س، 162-163.

أما لغته النثرية فقد جاءت جزلة قويّة بليغة، وقد مال ابن عبدون في أكثر رسائله إلى الإغراب والألفاظ الموحشة أحياناً، وإلى الإكثار من المحسنات البديعية كالسجع والطباق والمقابلة، متأثراً بشكل بارز بالقرآن الكريم، يقول في رسالة إلى يوسف بن تاشفين يخبره فيها بفتح مدينة شنترين: " ... وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها، واستولينا على أقطارها، أرحب المدن أمداً للعيون، وأخصبها بلدًا في سنين، لا يريُّها الخصب، ولا يرومها الجذب، ولا تعاطاها؛ فروعها فوق الثريا شامخة، وعروقها تحت الثرى راسخة، تنتهي بأزهارها نجوم السماء، وتناجي بأسرارها أذن الجوزا..."⁽¹⁾ فجعل الفواصل متعددة، والسجع بيّن واضح، ووظف المقابلة بين (لا يريُّها الخصب، ولا يرومها الجذب)، وكذلك (فروعها فوق الثريا شامخة، وعروقها تحت الثرى راسخة)، ووظف الموازنة بين (السمّ والجوزا)، وهو متأثر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿⁽²⁾.

رابعاً: بناء النصّ الموروث في أدب ابن عبدون

1 - بناء النص في قصيدة ابن عبدون

تتكوّن القصيدة العربية من مقدمة - ومنها المطلع - وعرض وخاتمة، يتنقل الشاعر من عنصر

إلى آخر منها بما سمّاه النقاد بحسن التخلّص، ويجمع بينها بما سمّوه بوحدة القصيدة.

¹ - ابن عبدون، الديوان، 203.

² - إبراهيم، 24/14.

اهتم النقاد قديماً وحديثاً بمطالع القصائد، فابن طباطبا الذي أشار إلى أهمية العناية بالمطلع ودلالته على ما بعده⁽¹⁾. وهذا ما جعل أبا هلال العسكري يقول: "يقول بعض الكتاب: أحسنوا معاشر الكتاب الابتداعات؛ فإنهنّ دلائل البيان"⁽²⁾، ويقول: "والابتداء أول ما يقع في السّمع من كلامك والمقطع آخر ما يبقى في النفس، فينبغي أن يكونا جميعاً مونقين"⁽³⁾، وبين بعد ذلك أهميّة أن يكون الابتداء حسناً مبدعاً رشيقيّاً؛ فهذا أدعى إلى الاستماع لما بعده⁽⁴⁾.

ويرى ابن رشيق أنّ إبداع مطالع القصائد من أسباب انشراح القارئ، وحسن التّخلص أو الخروج سبب ارتياح الممدوح، والخاتمة هي الألق بالّفس، فإن حسنت حسن ما يعلق بالّفس وإن قبحت قبح، والشّعر قفل أوله مفتاحه، فلا بد أن يجود الشّاعر مطالعه فهي أول ما يقرع السّمع⁽⁵⁾.

أمّا التّخلص فهو أن ينتقل الشاعر من المقدمة إلى موضوعه انتقالاً سهلاً يختلسه اختلاصاً، دون أن يشعر المتلقي، لشدة المزج بين المقدمة وهذا الموضوع⁽⁶⁾، لا فرق في ذلك بين الشّعر والنثر، فكلاهما لا بدّ أن يفصل عن المعنى إلى معنى آخر بأن يصل بينهما بصلة لطيفة فيمتزجا، وفيه دلالة على حذق الشاعر وقدرته على التّصرّف⁽⁷⁾، وأمّا الخاتمة فقد اعتنى بها النقاد عنايتهم بالمطلع، وأطلقوا عليها اسم المقطع؛ لأنها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فلا بدّ من إحكامها لتكون قفلاً للقصيدة كما كان المطلع مفتاحاً لها، ولا بدّ أن يبتعد الشاعر عن الإساءة

1 - ينظر: ابن طباطبا، عيار الشّعر، 33.

2 - العسكري، الصناعتين، 431.

3 - العسكري، م.ن، 435.

4 - ينظر: العسكري، م.ن، 438.

5 - ينظر: ابن رشيق، العمدة، 350/1.

6 - ينظر: الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأدب، 1/ 329.

7 - ينظر: بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، 221 - 222.

فيها، ولا بدّ كذلك أن يكون المقطع مناسباً للغرض، فخاتمة المديح تختلف عن خاتمة الرثاء مثلاً، ولا بدّ أن تكون ألفاظه عذبة جزلة متناسقة⁽¹⁾.

وأما وحدة القصيدة، فقد تناولها القدامى منذ أفلاطون وأرسطو⁽²⁾، ومن النقاد العرب القدامى الذين تناولوها ابن طباطبا، يقول: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحة، فيلائم بينها لتتنظم له معانيه، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ به وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه؛ فينسى السامع المعنى الذي سبق القول إليه..."⁽³⁾، فهو يدعو الشاعر إلى تأمل ما يكتب لإيجاد التناسق والتآلف بين أبياته.

ووحدة القصيدة تعني أنّها وحدة بنائية، فهي كالكائن الحيّ أو كالشجرة ترتبط جذورها بالساق والأغصان والأوراق، فيؤدي كلّ جزء وظيفته دون انفصال عن وظائف الأجزاء الأخرى، فهي تعمل في اتجاه واحد، هو أثر القصيدة في المتلقّي، وتعني الوحدة العضوية والفنية والشعورية، وحدة المظهر الخارجي في القصيدة⁽⁴⁾.

ويُعدُّ ابن عبدون من الشعراء المقلّين، فنصوصه الشعريّة في الديوان بلغت أربعةً وأربعين نصّاً، منها ثماني عشرة قصيدة فقط، والأخرى مقطّعات، وحتى هذه القصائد أكثرها يتكون من بضعة عشر بيتاً فقط.

1 - ينظر: بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، 229.

2 - ينظر: بكار، يوسف، م.ن، 277.

3 - ابن طباطبا، عيار الشعر، 165.

4 - ينظر: بكار، يوسف، م.س، 282-283.

جرت العادة على بناء القصيدة العربية بأغراضها وموضوعاتها المختلفة منذ العصر الجاهلي

على مقدمة وعرض وخاتمة، ومن ذلك قول الأعشى مادحًا: (الخفيف)

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْبُ فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وَشَمَالِ
- من سِرَاةِ الْهَجَانِ صَلَبَهَا الْعَضْدُ ضُ وَرَعِي الْحِمَى وَطُولِ الْحِيَالِ
- عُنْتَرِيْسُ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ طُ كَعْدُوِ الْمَصْلُصِلِ الْجَوَالِ
- وَعِنْدَهُ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّرْ عِ وَحَمَلٌ لِمَضْلِعِ الْأَثْقَالِ
وَصِلَاتِ الْأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا سُ وَفِكُّ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْالِ
لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَمْ ثُمَّ لَا زَلْ تَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ⁽¹⁾

فبدأ القصيدة بالمقدمة الطللية التقليدية، متسائلًا عن جدوى وقوف الرجل الكبير وبكائه على الأطلال، ذاكراً أيامه الخوالي مع المحبوبة، وذكر الناقة فوصفها بالضخامة والنشاط، وحمار الوحش فوصفه بالغليظ النشيط كناقته، ثم انتقل إلى المدح وهو الغرض الأكثر في القصيدة، فوصف الممدوح بالمجد والصلابة وشدة التنكيل بالعدو، وعزة النفس، والحزم والحذر، وأنه يصل الأرحام ويفك الأسرى، وختمها بالدعاء له ببقائه لقومه ولذوي الحاجة.

ولم يخرج ابن عبدون عن هذا العُرف وهذا التقليد، فقصيدته المديح في شعر ابن عبدون قسمان:

الأول اتَّسَمَ بِالوَحْدَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ، فَكَانَ ابْنُ عَبْدِوْنَ يَبْدَأُ الْقَصِيدَةَ بِالْمَدِيحِ مِنْ أَوْلَاهَا،⁽²⁾ وَقَسَمَ كَانَ يَبْدَأُ

1 - الأعشى، الديوان، 3-13.

2 - ابن عبدون، الديوان، 106، 123، 165.

القصيدة بمطلع ومقدمة كالحكمة أو وصف الطبيعة أو الغزل أو شكوى الزّمن، ثم يتناول في العرض مناقب الممدوح، ويختم بخاتمة مناسبة⁽¹⁾.

ومن القسم الأول قوله في مدح الرشيد عبيد الله بن المعتمد بن عباد: (الوافر)

عَزِيمٌ لَا يُسَدُّ عَلَيْهِ بَابٌ وَقَلْبٌ لَا يُقَلُّ لَهُ ذُبَابٌ⁽²⁾

فقد بدأ القصيدة بتعداد مناقب الرشيد فوصفه بقوة العزيمة والشجاعة، ثم مضى يعدد مناقبه الأخرى،

ومن الثّاني قوله في مدح المتوكّل: (المتقارب)

سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ مَعَانٍ فِسَاحٍ فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فِصَاحٍ
وَحَلَى أَكَالِيلَ تِلْكَ الرَّبَى وَوَشَى مَعَاطِفَ تِلْكَ الْبِطَاحِ⁽³⁾

فبدأ بوصف الطبيعة مشيرًا إلى أنّه سينظم في وصفها شعرًا فصيحًا، ثم مضى يصف تلك الطبيعة ولهوه فيها، فجعل هذه المقدمة في سبعة أبيات ليتخلص منها تخلصًا لطيفًا إلى مدح المتوكّل فقال:

وَلَيْلٍ كَرَجَعَةٍ لَحْظِ الْمُرِيبِ لَمْ أَدْرِ لَهُ شَفَقًا مِنْ صَبَاحِ
كَعُمْرِ عُفَاتِكَ يَوْمِ النَّدَى وَعُمْرِ عُدَاتِكَ يَوْمِ الْكِفَاحِ

فيصفه بالكرم والبأس والشّدة، وأنّه ملجأ المحتاجين، مكرّرًا هذه المعاني بألفاظ وتراكيب وصور مختلفة، فعلى كلّ صاحب حاجة أن يطلبها منه، فهو لا يردّ محتاجًا، وهذا هو موضوع الشّاعر، فهو

1 - ابن عبدون، الديوان، 110، 118، 127، 157، 178، 186، 188.

2 - ابن عبدون، م.ن، 106.

3 - ابن عبدون، م.ن، 118.

يجعل ممدوحه مقصده ومقصد كلّ شاعر،⁽¹⁾ بل مقصد كلّ صاحب حاجة، وجعل ذلك في خمسة أبيات، ومضى في تعداد مناقب الممدوح إلى نهاية القصيدة فقال آخرها:

من القوم ينزلهم خضدُهُم⁽²⁾ عن الموتِ شوكَ القنا في البراحِ
وعنهم تكوّن رفْعُ الغلا سماءَ على عمدٍ من صِفاحِ
وقادوا الزّمانَ إلى اليومِ وهو رقيقُ الحواشي صَقيلُ النّواحي

فهي استكمال لمدح المتوكّل، إذ جعله من القوم النّافذي الطّعن، ووصفه بعلوّ المكانة والرّفعة، والشّجاعة، فامتزجت خاتمته بما سبقها.

أمّا قصائد الرّثاء فقد تبدأ بشكوى الزّمن أو الحكمة، ثمّ يظهر عظيم مصابه بفقد المتوفى، وأشهر مرثيته - وهي أطول قصائده التي وصلت إلينا- قصيدته في رثاء المتوكّل بن الأقطس وولديه الفضل والعباس بعد دخول المرابطين بطليوس، فافتتحها ببعض الحكم فقال: (البيسط)

الدّهْرُ يفجّعُ بعدَ العينِ بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباحِ والصّورِ
أنهاكَ أنهاكَ لا ألوكَ موعظةً عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظّفْرِ
فالدّهْرُ حربٌ وإنْ أبدى مُسالمةً والبيضُ والسّودُ مثلُ البيضِ والسّمْرِ⁽³⁾

فقد بدأ ابن عبدون القصيدة بمطلع يكاد ينفجر فيه حزناً على من مضوا، يظهر ألمه وتفجعه ويشكو الزمن الغادر فيقول: إنّ الدهر يأتي بما كان قد خفي من المصائب، وما لم يكن أحدٌ يتوقعه، فيجعل العين أثراً، وإنّ الإنسان قد ينام وهو يحسب أنّه آمنٌ فيأتيه الموت أو الأذى من حيث لا يدري، ثمّ

1 - ابن عبدون، الديوان، 57.

2 - الخضد مصدر خَضَدَ، وهو الكَسْرُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خضد.

3 - ابن عبدون، م.س، 139.

ينصح الإنسان بالأمان إلى الدنيا فهي غادرة، ثم يستنرد إلى الأمم السابقة مبيّناً كيف أخذتها الأيام فقال:

كم دولةٍ وليتْ بالنصرِ خِدْمَتَهَا لم تُبْقِ منها، وسلْ ذِكْرَاكَ، مَنْ خَبِرِ
هوتْ بداراً وفَلتْ غَرْبَ قَاتِلَةٍ وكانَ عَضْبًا عَلَى الْأَمْلَاكِ ذَا أُثْرِ

ثمّ مثل على غدر الدنيا بالناس بإهلاك هذه الأمم، فذكر بني ساسان وطسم وعاداً ومُضَرَ وسبأ وكليباً ومهلهاً وامراً القيس وآل ذبيان ويزدجرد ورستم قائد الفرس يوم القادسية، ويذكر إهلاك الصحابة كعثمان وجعفر والزيبر وعليّ بن أبي طالب وابنه الحسن ومعاوية، ثم من جاء بعدهم كثير من الخلفاء، وجاءت الزبياء، وجاء بنو المظفر وغيرهم، وقد ذكر هؤلاء دون نظر إلى من سبق ومن لحق، وإنّما حسب ما يقتضيه الوزن، وهذه المقدمة بلغت سبعة وأربعين بيتاً، ثم يرثي بني الأفتس في عشرين بيتاً فيقول مخاطباً إياهم:

بني المظفرِ والأَيّامِ، لا نزلتْ مراحلٌ والورَى منها على سفرِ
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملتْ بمثله ليلةً في غابرِ العمرِ
من للأسرةِ أو من للأعنةِ أو من للأسنةِ يهديها إلى الثغرِ
وطوّقتْ بالمنايا السودِ بيضهمُ فاعجبْ لذاك وما منها سوى الذكرِ

فجعل يعدد مناقبهم، فأظهر حزنه وشدة مصابه بموتهم، ووصفهم بالكرم والفروسية والشجاعة، وباللبأس والشدة، وهم أهل علم وسماحة وإشراق، وهم من يقف مع الناس في مصائبهم، وهم أرباب

أدب، فهم بهذا كله أهل الدنيا والدين،⁽¹⁾ وهو كعادته يكرر هذه المعاني في ألفاظ وصور مختلفة، مظهرًا براعته وتمكنه وموهبته، وجعل ذلك في عشرين بيتًا.

ثم يختم القصيدة بعشرة أبيات يندب فيها حظّه، ويتساءل عمّن يمكن أن يقوم مقام المتوكّل وبنيه، فلا يجد أمامه إلا الصبر على مصيبتّه، ثم يعود من جديد إلى غدر الزّمان، وينهي بفخره بقصيدته،⁽²⁾ والصّلاة والتّناء على الرسول ﷺ فيقول:

من لي، ولا من، بهم إن أظلمت نوبّ	ولم يكن لي لها يفضي إلى سحرٍ
- يرجو عسى وله في أختها أملّ	والدهر ذو عقبٍ شتّى وذو غيرٍ
قرطت آذان من فيها بفاضحةٍ	على الحسانِ حصى الياقوتِ والدرّ
سيارةٍ في أقاصي الأرض قاطعةٍ	شقا شقا هدرت في البدو والحضرِ
- ثمّ الصّلاة على المختارِ سيّدنا	المصطفىّ المجتبى المبعوث من مضرٍ
والآل والصّحب ثمّ التّابعين له	ما هبّ ريح وهلّ السحب بالمطرِ

وكذلك قصيدته في رثاء أخيه عبد العزيز، فقد جعل مطلعها ومقدمتها في غدر الزمان وتقلبه، ثمّ

عدّد مناقب أخيه، وختمها كذلك بغدر الزمان وتقلبه وعدم إبقائه على الأحبة والأصدقاء.⁽³⁾

أمّا شكواه فقد بنى قصيدته كذلك على مقدمة وغرض رئيس وخاتمة، على أنّ شكواه الشعريّة

قليلة، فليس له إلا أربعة نصوص في شكوى الرّمن والمصائب وبتّ الأحزان والآلام والضّجر.

1 - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 66.

2 - ينظر: التنوير، سليم، م.ن، 66.

3 - ابن عبدون، الديوان، 186-187.

ومن ذلك قصيدته العينية، فقد بدأها بمطلع يظهر نغمته وضجره،⁽¹⁾ فيقول: (الوافر)

سأطلب لا بالسنة اليراع سوى ذا الحظ من أيدي الرماع⁽²⁾

ثم يظهر ضيقه وضجره بالملوك والأمراء الذين قصروا في حقه ولم يقدروه حق تقدير، هاجياً إياهم،
وذاماً الدهر،⁽³⁾ فيقول:

فَسَلَّنِي عَنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ تَسَلُّ خَبِيرًا فَاقْضِ حَقَّ الْإِسْتِمَاعِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ نَفْسِي وَنَفْسِي لِأَوْضِحَ غُبْنَهُمْ عِنْدَ الْبِيَاعِ

ويختم قصيدته بإظهار يأسه ورفضه لكل ذلك، والتزام بيته فيقول:

فَبِعْتُهُمْ بَتَاتًا لَا بِنُتْيَا وَلَا شَرْطٍ وَلَا دَرَكٍ اِزْتِجَاعِ
وَلَمْ أَجْعَلْ قِرَابِي غَيْرَ بَيْتِي فَحَسْبِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ قِرَاعِ

فقد قطع علاقته بهم قطعاً تاماً، وصوّر هذه القطيعة ببيع البتات، وهو البيع الذي لا شرط فيه يمكن
من فسخه، ثم قرّر أن لن يغادر بيته، تأكيداً على هذه القطيعة.

2 - بناء النص في نثر ابن عبدون

ولا يختلف نثره عن شعره، فقد جعل ابن عبدون رسائله - التي وصلت إلينا كاملة- في مقدمة
تتضمن الحمد والثناء على الله، ومدح المرسل إليه، وعرض يتناول فيه موضوع رسالته، وخاتمة
ينهي بها ما بدأه، فرسالته التي أرسلها باسم سير بن أبي بكر إلى يوسف بن تاشفين استهلها بالثناء
على الله، والصلاة على رسوله الكريم، ومدح يوسف بن تاشفين والدعاء له، واستهل رسائله إلى الفتح

1 - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 74.

2 - ابن عبدون، الديوان، 161.

3 - ينظر: التنوير، سليم، م.س، 75.

ابن خاقان والوزير أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال وابن الجد وغيرهما بالمديح كذلك، مع تكلفه الصنعة البديعية والمبالغة فيها⁽¹⁾.

ومن رسائله التي بناها فأحسن بناءها، رسالته باسم سير بن أبي بكر إلى يوسف بن تاشفين يخبره فيها بفتح مدينة شنترين، فقد بدأها بمدح الأمير يوسف والدعاء له فقال: " أدام الله أمير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، خافقاً بنصرة الدين أعلامه، نافذة في السبعة الأقاليم أعلامه... "،⁽²⁾ ثم يحمد الله ويثني على رسوله فيقول: " والحمد لله رب العالمين حمداً يستغرق الألفاظ الشارحة معناه، ويسبق الألفاظ الطامحة وأدناه، لا يرد وجهه نكوص تخصيص، ولا يحرزه بقبض ولا ببسطٍ مثال ولا تخمين، ولا يجمعه ولا يحصيه إذا سبقت هواديه لحقت تواليه... وعلى محمد عبده وأمين وحيه الصادع بأمره ونهيه نظام أمته وإمام الأئمة سر آدم من بينه، وفخر العالم ومن فيه، صلاة تامة نقضيها، وتحية عامة نؤديها... "، ثم يبشره بالنصر، ويبين ما فعلته جيوش المسلمين بالصليبيين وصلبانهم، وكيف فتحت بعد أن كانت عصية، ويفصل ذلك ويطنب فيه، فيكرر المعاني مظهرًا صنعة بديعية متكلفة، فيكثر من المحسنات والفواصل، ويختتم بوصف القلعة مصورًا رحابها وخصب أرضها وشموخها، والتأكيد على نزول القلعة عند إرادة المسلمين، وتبعيتها لهم بعد استعصائها وتمردّها على من سبق من الملوك،⁽³⁾ وبالصنعة البديعية المتكلفة وإكثاره منها استطاع ابن عبدون أن يحقق الكثير من عناصر الجمال والجودة

1 - ينظر: التنوير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 88 - 91.

2 - ابن عبدون، الديوان، 200.

3 - ينظر: التنوير، سليم، م.س، 89.

كالتناسق في الإيقاع الموسيقي المتولد عن الموازة في الجمل القصيرة وتكرار الفاصلة والموازنة والترصيع والجناس والسجع.

وإذا لم يكن للرّسالة موضوعٌ ذو أهمية وجدنا ابن عبدون يلجأ إلى التّطويل والاستطراد؛ إذ ما من قضية يبرزها، فيعتمد في إخفاء ذلك باللجوء إلى الصنعة البديعية، وإظهار بلاغته وموهبته، ومن ذلك رسالته إلى الوزير ابن أبي الخصال⁽¹⁾ ورغم ذلك فقد بنى رسالته هذه بناءً هندسيًا، فجعل لها مقدمة تتضمن الحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ، ثم عرض موضوعه وهو طلب مودة الوزير، وختمها بإظهار تواضعه، وأنه - على حدّ تعبيره - كالعنقاء في الأسماء، أي ليس له مكانة.

¹ - ينظر: التنير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، 91.

الخاتمة:

وبعد إتمام هذه الدراسة أقدم أهمّ النتائج والتوصيات:

نتائج الدراسة:

- تأثر ابن عبدون بالموروث القديم، فقد تأثر بالدين والعقائد، وتأثر بالتاريخ أحداثه وشخصه، وتأثر بالأدب؛ شعره ونثره من حيث المضمون والشكل الفني، وبناء النص على النحو الآتي:
- تأثر ابن عبدون بالموروث الحضاري العربي في الأندلس والمشرق العربي، وكان شعره مرآة عكست جانباً من حياة المسلمين في الأندلس في عصره.
- تأثر ابن عبدون بالدين الإسلامي فكراً وعقيدةً ومنهجاً، فقد برز تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف في مواضع كثيرة من أعماله الشعرية والنثرية.
- تأثر ابن عبدون بمن سبقه من الشعراء وأساليبهم، وظهر في شعره الكثير من الشخصيات الأدبية وبخاصة الشعراء.
- وظّف ابن عبدون الموروث التاريخي، فظهر في شعره الكثير من الأحداث والشخصيات التاريخية، منهم القادة والمفكرون والعلماء.
- وظّف ابن عبدون بعض الحكم والوصايا والأمثال الموروثة في شعره ونثره.
- جاء شعر ابن عبدون كلّه تقليدياً، فقد وظّف الأغراض التقليدية الموروثة التي تناقلها الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصره، خاصة المديح والرثاء والهجاء والفخر.
- اهتم ابن عبدون بالصورة الفنية الموروثة، وجعلها واحدة من وسائله الفنية في التعبير عن مضامينه ومشاعره، وقد اعتمد على علم البيان والتجسيد والتشخيص لإخراج صور بسيطة وصور

مركبة، ورغم ظهور صور فنية جديدة كثيرة إلا أنّ كثيراً من هذه الصور من الموروث الثقافي الذي انتشر بين الشعراء السابقين خاصة في المديح، وهو الغرض الأكثر انتشاراً في شعره.

- وظّف ابن عبدون موسيقا الخليل بن أحمد في شعره.

- جاءت الموسيقى الداخلية والخارجية عند ابن عبدون متناسقة مع أغراضه الشعرية، وكلها أغراض جدية بعيدة عن الهزل إلا بضعة أبيات في وصف الخمر، وبضعة أبيات أخرى في وصف الربيع، فكان البحر الطويل ثم البحر البسيط هما الأكثر توظيفاً في شعره، وقد اعتمد في موسيقاه الداخلية على المحسنات البديعية كالسجع والجناس والمقابلة والترصيع والموازنة والتصریح، وقد سبق ابن عبدون إلى هذا كله.

- لغة ابن عبدون الشعرية سهلة واضحة تميل أحياناً إلى الإغراب والجزالة، أمّا لغته النثرية فهي

جزلة قوية تقوم على الصنعة البديعية المتكلفة، وهو يسير على نهج كثير ممن سبقه من الأدباء.

- بنى ابن عبدون قصائده ورسائله بناءً هندسياً متقناً، فجعل لكل قصيدة أو رسالة مقدمة تناسب

موضوعه وتتناسق معه، ثم يتناول الموضوع مفصلاً، ويختم كذلك بما يناسب الغرض.

التوصيات:

توصي الباحثة الدارسين بدراسة الموروث عند شعراء الأندلس الآخرين، ودراسة الظواهر الفنيّة الأخرى في أدب ابن عبدون سوى قضيّة الموروث ؛ لإبراز الظواهر التي أبدع ابن عبدون والشّعراء الأندلسيون في تناولها؛ لإبقاء تراث أجدادنا حيًّا في نفوسنا وفي نفوس الأجيال القادمة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- ابن الأثير، محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ):
- أ- التكملة لكتاب الصلاة، حققه عبد السلام الهرّاس، بيروت، دار الفكر، 1995م.
- ب- الحلة السّيراء، ط2، حققه حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، 1985م.
- ج- المقتضب من كتاب تحفة القادم، حققه إبراهيم الأبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية، (د.ت).
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، حققه أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.
- أحمد بن حنبل (ت241هـ)، المسند، ط2، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1999م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، الصحيح، حققه مصطفى ديب، بيروت، دار ابن كثير، 1987م.
- ابن بدرون، عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي (ت608هـ)، شرح ابن بدرون، لايدن، مطبعة الأخوين لختمس، 1839م.
- ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ)، الدّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط8، حققه إحسان عباس، تونس، بيروت، الدار العربية للكتاب، 1979م، دار الغرب الإسلامي، 2000م.

- بشار بن برد، **الديوان**، شرحه محمد الطاهر بن عاشور، وراجعته وصححه محمد شوقي أمين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ)، **الصلة**، حققه إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، حققه إحسان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1971م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، **سنن البيهقي الكبرى**، حققه محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، 1994م.
- التبريزي، شمس الدين محمد بن عبد الله (ت645هـ)، **مشكاة المصابيح**، ط3، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الكتب الإسلامي، 1985م.
- الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، **السنن**، حققه أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **التوراة**.
- الثعالبي، عبد الملك النيسابوري (ت429هـ)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، حققه مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ):
- أ- **البيان والتبيين**، حققه فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1968م.

ب- الحيوان ط2، حققه عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،

1965م.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ):

أ- أسرار البلاغة، علق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة وجدة، دار المدني، 1991م.

ب- دلائل الإعجاز، حققه محمد التنجي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1995م.

- الجرجاني، علي بن عبد العزيز (ت 392هـ)، الوساطة بين المتبني وخصومه، حققه محمد أبو

الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، بيروت، المكتبة العصرية، 2006م.

- جرير بن عطية الخطفي (ت 114هـ)، الديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ)، صفة الصفوة، ط2، حققه محمود فاخوري، محمد

رواس قلعه جي. بيروت، دار المعرفة، 1979م.

- جميل بثينة، جميل بن معمر (ت 82هـ)، الديوان، قدم له بطرس البستاني، بيروت، دار صادر،

د.ت.

- الجوجري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت 889هـ)، شرح شذور الذهب في

معرفة كلام العرب، حققه نواف بن جزاء الحارثي، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بجامعة

المدينة، 2004م.

- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، الثقات، حققه السيد

شرف الدين أحمد، بيروت، دار الفكر، 1975م.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، حققه علي محمد

البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1412هـ.

- ابن حجة، علي بن عبد الله الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، حققه عصام شعيتو بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1987م.
- ابن حزم، علي بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، حققه عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2009م.
- حسان بن ثابت (ت40هـ)، **الديوان**، ط2، شرحه عبد مهتأ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت636هـ)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1993م.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت414هـ)، **البصائر والذخائر**، ط4، حققه وداد القاضي، بيروت، دار صادر، 1999م.
- ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد الإشبيلي (ت528هـ)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حققه حسين يوسف خريوش، القاهرة، مطبعة بولاق، 1866م، عمان، مطبعة المنار، 1989م.
- ابن خلف المقرئ، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري (ت455هـ)، **العنوان في القراءات السبع**، نسخة pdf، عن موقع <http://www.al-mostasfa.com> (د.ت)، (د.م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ودار الثقافة، 1994م.
- الخنساء، تماضر بنت عمرو، (ت24هـ)، **الديوان**، حققه أنور أبو سويلم، عمان، دار عمار، 1988م.

- خليفة، حاجي (ت1076هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، 1990م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن (ت633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، حققه إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1954م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ):

أ- سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرنؤوط وزملاؤه، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.

ب- العبر في خبر من غير، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار

الكتب العلمية، (د.ت).

ج- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار

الكتاب العربي، 1987م.

- ابن رشيق، الحسن ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، حققه

النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2000م.

- ابن الرومي، علي بن العباس (ت283هـ) ديوان ابن الرومي، ط3، شرحه أحمد حسن بسج،

بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

- الزمخشري، محمود بن عمر (ت538هـ):

المستقصى في أمثال العرب ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.

المفصل في صنعة الإعراب، حققه علي بو ملح، بيروت، مكتبة الهلال، 1993م.

- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.

- السراج القارئ، مصارع العشاق، نسخة pdf من موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية، (د. ت)، (د. م).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1964م.
- ابن سنان، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت466هـ)، سرّ الفصاحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م.
- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت204هـ)، ديوان الإمام الشافعي، ط3، حققه إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1996م.
- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد المصري (ت654هـ)، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، حققه حفني محمد شرف، القاهرة، 1963م.
- ابن طباطبا، محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي (ت322هـ)، عيار الشعر، حققه عباس عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ.
- العسكري، الحسن بن عبد الله (ت395هـ):
- أ- جمهرة الأمثال، ط2، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، بيروت، دار الفكر، 1988م.

- ب- كتاب **الصناعتين الكتابة والشعر**، حققه علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1952م.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، **الديوان**، بيروت، دار التراث، 1969م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت 1089 هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، حققه عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، 1986م.
- عمر بن أبي ربيعة (93هـ)، **الديوان**، وضع حواشيه فايز محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1996م.
- عنتر بن شداد، **شرح ديوان عنتر للتبريزي**، قدّم له ووضع فهارسه محمد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1992م.
- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ)، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، حققه ماهر زهير جرار، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1982م.
- أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ)، **الأغاني**، ط2، حققه سمير جابر، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ)، **الديوان**، ضبطه علي فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.
- ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، حققه أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- القزويني، أبو عبد الله بن زكريا بن محمد (ت 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط4، بيروت، دار إحياء العلوم، 1998م.

- القضاء، محمد بن سلامة بن جعفر، مسند الشهاب، ط2، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م.
- الكتبي، محمد بن شاکر (ت764هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط2، حققه سامي بن محمد سلامة، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.
- المتنبّي، أحمد بن الحسين (ت350هـ)، الديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، 2006م.
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت565م)، الديوان، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م.
- مسلم بن الوليد (ت208هـ)، ديوان صريع الغواني، ط3، حققه سامي الدهان، القاهرة، دار المعارف، 2209م.
- المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، اعتنى به كمال حسن مرعي، بيروت، المكتبة العصرية، 2005م.
- المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، ديوان أبي العلاء سقط الزند، وقف على طبعه شاکر شقير، بيروت، المطبعة الأدبية، 1884م.

- المقري التلمساني، أحمد بن محمد(ت1021هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، حققه إحسان عباس ، بيروت، دار صادر، 1968م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(ت 711هـ)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر1414هـ.
- مهيار الديلمي، مهيار بن مرزويه، **الديوان**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1926م.
- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري(ت518هـ)، **مجمع الأمثال**، بيروت، دار المعرفة.
- النابغة الجعدي، عبد الله بن قيس بن عدس(ت55هـ)، **الديوان**، حققه واضح الصمد، بيروت، دار صادر، 1998م.
- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب(ت16 ق.هـ)، **ديوان النابغة الذبياني**، ط3، شرحه عباس عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ(ت199هـ)،
- ديوان أبي نواس**، شرحه محمود أفندي واصف، القاهرة، المطبعة العمومية، 1898م.
- ديوان أبي نواس**، حققه إيفالد فاغر، ألمانيا، فيسبادن، دار النشر فرانز شتاينز، 1972م.
- ابن هانئ، محمد بن هانئ الأندلسي (ت362هـ)، **الديوان**، بيروت، المطبعة اللبنانية، 1886م.
- الهمذاني، أحمد بن الحسين بديع الزمان (385هـ)، **رسائل بديع الزمان**، شرحه إبراهيم الطرابلسي، بيروت، مطبعة الكاثوليك للآباء اليسوعيين، 1007م.

ثانياً: المراجع

- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، من الفتح إل سقوط الخلافة، القاهرة، دار المعارف، 1985م.
- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشّعر، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م.
- بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه من الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1955م.
- بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م.
- التتير، سليم، مقدمة ديوان ابن عبدون، دمشق، دار الكتاب العربي، د.ت.
- الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م.
- الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، بيروت، دار الكتب العلمية، 2009م.
- حجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، بيروت، دار القلم ، 1981م.
- حداد، منعم، التّراث الفلسطيني بين الطّمس والإحياء (مجموعة دراسات وأبحاث)، مركز إحياء التراث، الطّيبة، فلسطين، 1989م.
- حركات، مصطفى، أوزان الشّعر، القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1998م.

- حزان، حبيب، الأدب الأندلسي من الاحتلال إلى الارتجال، شفا عمرو، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، 1989م.

- حفني، حسن، التراث والتجديد - موقفنا من التراث، ط4، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1992م.

- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي (التطور والتجديد)، بيروت، دار الجيل، 1992م.

- خورشيد، فاروق، الموروث الشعبي، القاهرة، دار الشروق، 1992م.

- الدايمية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 2000م.

- الديك، نادي ساري، ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعريّة، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، 1998م.

- الديلمي، سمير علي، الصورة في التشكيل الشعري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م.

- الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

- زايد، علي عشري،

أ- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط4، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

ب- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997م.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، الأعلام ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002 م.
- السعدني، مصطفى، التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991م.
- الطريقي، يوسف عطا، شعراء العرب، العصر العباسي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2007م.
- عباس، إحسان:
- أ- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، بيروت، دار الثقافة، 1985م.
- ب- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر ملوك الطوائف، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
- عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، 1993م.
- عصفور، جابر، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1992م.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط14، بيروت، دار الساقى، 2001م.
- العمري، أكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، جدة، مكتبة العبيكان، د.ت.
- العوادي، عدنان حسين، لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، 1985م.

- عنبتاوي، عدنان فائق، **حكايتنا في الأندلس**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1989م.

- غومس، إميليو غرسيه، **الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه**، ط2، ترجمه حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة، دت.

- مجاهد، أحمد، **أشكال التناص الشعري**، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1989م.

- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق، 2004م.

- محسن، عيسى خليل، **أمراء الشعر الأندلسي**، عمان، دار جرير، 2007م.

- محمد، الولي، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1990م.

- النفيسي، عبد الله، **التراث وتحديات العصر**، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1986م.

- واصل، عصام حفظ الله، **التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر**، أحمد العواضي أنموذجاً، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م.

- وهبة، مجدي وزميله، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، بيروت مكتبة لبنان، 1984م.

- اليافي، نعيم، **مقدمة لدراسة الصورة الفنية**، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م.

ثالثاً: الرسائل العلمية

- أحمد، وسام عبد السلام، **توظيف الموروث في شعر الأعشى**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، 2011م.
- السريجي، صلوح بنت مصلح بن سعيد، **الصورة في شعر الرثاء الجاهلي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1998م.
- جبريل، خميس محمد حسن، **التناص في شعر يوسف الخطيب**، دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الأزهر، إشراف أحمد جبر، غزة، 2015م.

رابعاً: المجالات

- الصحناوي، هدى، **الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة: بنية التكرار عند البياتي نموذجاً**، دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد 1=2، 2014م.
- عبد السلام، مصطفى بيومي، **التناص مقارنة نظرية شارحة**، مجلة عالم الفكر، عدد 1 مجلد 40، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت سبتمبر، 2011.

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

التوراة من موقع

http://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/05 -

-Deuteronomy/Sefr-Al-Tathneya-Chapter-33.html

2015/3/13

- ابن خلف المقرئ، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري (ت455هـ)، العنوان في القراءات

السبع، نسخة pdf، عن موقع <http://www.al-mostasfa.com> pdf:top

فهرس المحتويات:

الصّفحة

الموضوع

الإهداء

أ	إقرار
ب	شكر وتقدير
ج	الملخص بالعربية.....
هـ	الملخص بالإنجليزية.....
و	المقدمة
2	الفصل الأول- ابن عبدون عصره وسيرته
2	المبحث الأول: عصر ابن عبدون
3	أولاً: الجانب السياسي
6	ثانياً: الجانب الاجتماعي
6	1- ظاهرة الجلاء
7	2- ظاهرة الترف
8	3- الفقهاء
10	ثالثاً: الحياة الثقافية والفكرية.....
12	المبحث الثاني: سيرة ابن عبدون.....
12	أولاً: اسمه ومولده ونشأته.....
15	ثانياً: عائلته.....
17	ثالثاً: شيوخه.....
18	رابعاً: آثاره
19	خامساً : شعره.....
19	1- المديح
20	2- الرثاء.....
23	سادساً: وفاته

27الفصل الثاني: توظيف الموروث الدلالي في شعر ابن عبدون
27المبحث الأول: مفهوم التراث
27 مفهوم التراث لغة
27 مفهوم التراث اصطلاحاً
28 أهمية التراث
30المبحث الثاني: توظيف الموروث الديني في شعر ابن عبدون
30 أولاً: توظيف القرآن الكريم
37 ثانياً: توظيف الحديث الشريف
40 ثالثاً: تأثيره بالمفاهيم الدينية ومصطلحات الفقهاء
42المبحث الثالث: توظيف الموروث التاريخي في شعر ابن عبدون
42 أولاً: توظيف القبائل والشخصيات التاريخية
46 ثانياً: توظيف الأحداث التاريخية
55المبحث الرابع: توظيف الموروث الأدبي في شعر ابن عبدون
55 أولاً: توظيف الموروث الشعري في شعر ابن عبدون
55 1- في المدح
59 2- في الفخر
60 3- في الغزل
62 4- الرثاء
64 5- في الوصايا والحكم
66 6- في الأغراض الشعرية الأخرى
68 ثانياً: توظيف الشخصيات الأدبية
69 ثالثاً: توظيف الموروث النثري في شعر ابن عبدون
71 رابعاً: توظيف الموروث اللغوي في شعر ابن عبدون
72المبحث الخامس: توظيف الموروث في نثر ابن عبدون
72 أولاً توظيف الموروث الديني:
72 1- توظيف القرآن الكريم
80 2- توظيف الحديث الشريف

82 3- توظيف التوراة.....
82 ثانيًا: توظيف الموروث التاريخي.....
84 ثالثًا: توظيف الموروث الأدبي.....
87 رابعًا: توظيف الموروث الأسطوري.....
88 خامسًا: الوصايا والحكم.....
89 سادسًا: الأمثال.....
92 الفصل الثالث: التشكيل الفني في الموروث في أدب ابن عبدون
92 أولاً: الصورة الفنية.....
97 الصورة الفنية الموروثة في شعر ابن عبدون.....
104 الصورة الفنية الموروثة في نثر ابن عبدون
106 ثانيًا: الموسيقى الشعرية.....
108 1- الموسيقى الخارجية.....
110 2- الموسيقى الداخلية.....
115 ثالثًا: الظواهر اللغوية الشعرية والنثرية
124 رابعًا: بناء النص الموروث في أدب ابن عبدون
124 1- بناء النص في قصيدة ابن عبدون
132 2- بناء النص في نثر ابن عبدون
135 الخاتمة.....
135 نتائج الدراسة.....
137 التوصيات.....
138 قائمة المصادر والمراجع.....
153 فهرس المحتويات.....